بَصَائِرُ قُرآنِيَّةٌ
سُورَةُ الفَاتِحَةِ
(111 بصيرة)
إعداد
أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
زَكَرِيَّا بنُ طَهَ شَحَادَة
غزة - فلسطين
1442هـ - 2021م

الْقَارِئُ الْكَرِيمُ

❖ اقْرَأْ هَذَا الكِتَابَ بِنِيَّةِ الْعَمَلِ بِمَا فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بِلَا عَمَلٍ، وَلَا خَيْرَ فِي عَمَلٍ بِلَا نِيَّةٍ خَالِصَةٍ.

❖ قِفْ عِنْدَ كُلِّ عُنْوانٍ، وَأَحْضِرْ لَهُ نِيَّةً خَالِصَةً؛ فَإِنَّ أَجْرَ الْعَبْدِ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَىٰ قَدْرِ نِيَّتِهِ.

❖ كَتَبَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ: «اعْلَمْ يَا عُمَرُ أَنَّ عَوْنَ اللهِ لِلْعَبْدِ بِقَدْرِ نِيَّتِهِ، فَمَنْ خَلُصَتْ نِيَّتُهُ؛ تَمَّ عَوْنُ اللهِ لَهُ، وَمَنْ نَقَصَتْ نِيَّتُهُ؛ نَقَصَ عَنْهُ مِنْ عَوْنِ اللهِ بِقَدْرِ ذَلِكَ»[1].

---

(1) انْظُرْ: إِتْحافَ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ بِشَرْحِ إِحْياءِ عُلُومِ الدِّينِ، لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الحُسَيْنِيِّ الزُّبَيْدِيِّ: 2/ 312.

- لا تَتْرُكِ الكِتابَ حَتَّىٰ تُتِمَّهُ عَنْ آخِرِهِ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مِنْ أَيِّ صَفَحاتِهِ تُصيبُ البَرَكَةَ، ولَعَلَّ آخِرَهُ أَنْفَعُ لَكَ مِنْ أَوَّلِهِ.

- إِذَا قَضَيْتَ حَاجَتَكَ مِنَ الكِتَابِ؛ فَأَهْدِهِ لِمَنْ تُحِبُّ مِنْ إِخْوَانِكَ المُسْلِمِينَ؛ فَلَعَلَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ؛ فَيَكُونُ لَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ، ولَعَلَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ أَكْثَرَ مِنْكَ، وَفِي الحَدِيثِ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَوَعَاهَا، وَحَفِظَهَا، وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»[1].

---

(1) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ: 4/ 321، رقم: (2658)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ، حَمْدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيهِ، كما يُحِبُّ ربُّنَا، ويَرْضَىٰ، وكَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ، حَمْدًا يَمْلأُ السماواتِ والأرضَ وما بينَهما، وما شاءَ ربُّنَا مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، بِمَجَامِعِ حَمْدِهِ كُلِّها: ما عَلِمْنَا مِنْهَا، ومَا لَمْ نَعْلَمْ؛ علىٰ نِعَمِهِ كُلِّها: مَا عَلِمْنَا مِنْهَا، ومَا لَمْ نَعْلَمْ؛ عَدَدَ ما حَمِدَ الحامِدُونَ، وغَفَلَ عن ذِكْرِهِ الغافلونَ، وعَدَدَ ما جَرَىٰ به قَلَمُهُ، وأَحْصَاهُ كتابُهُ، وأَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ.

وصَلَّىٰ اللهُ وسَلَّم ورَضِيَ وبَارَكَ علىٰ سَيِّدِنا وإِمَامِنَا؛ مُحَمَّدٍ، وعلىٰ سَائِرِ الأَنْبياءِ والمُرْسَلينَ، وعلىٰ آلِهِ، وصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وعَنِ التَّابِعينَ لَهُمْ بإحسانٍ إِلَىٰ يوم الدينِ، وَبَعْدُ.

فَإِنَّهُ مِنْ عَظِيمِ مِنَّةِ اللهِ تعالَىٰ عَلَيْنَا، وإِحْسَانِهِ لَنَا أَنْ أَجْرَىٰ مِدَادَ أَقْلَامِنَا بِمَا فَتَحَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَنَا مِنْ بَصَائِرَ تَدَبُّرِيَّةٍ لِكِتَابِ اللهِ العَزِيزِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الاشْتِغَالَ بِهَذَا البَابِ مِنْ أَبْوَابِ العِلْمِ لَمِنْ أَشْرَفِ العُلُومِ، وَأَعْظَمِهَا تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ «فَإِنَّهُ أُمُّ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمَجْمَعُ الأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ، وَالْعِلْمُ بِهِ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَعَزُّهَا، وَأَجَلُّهَا، لأَنَّ شَرَفَ الْعُلُومِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَلَمَّا كَانَ كَلامُ اللهِ تَعَالَىٰ أَشْرَفَ الْمَعْلُومَاتِ، كَانَ الْعِلْمُ بِتَفْسِيرِهِ وَأَسْبَابِ تَنْزِيلِهِ وَمَعَانِيهِ وَتَأْوِيلِهِ، أَشْرَفَ الْعُلُومِ»[1].

---

(1) انْظُرْ: التَّفْسِيرَ الْوَسِيطَ، لِلْوَاحِدِيِّ: 1/ 47.

وَإِنَّهُ مَا نَدِمَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ شَيْءٍ نَدَمَهُم عَلَىٰ عَدَمِ عِمَارَةِ أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِم بِالاشْتِغَالِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ تِلَاوَةً وَعِلْمًا وَعَمَلًا، وَفِي هَذَا قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لَيْتَنِي كُنْتُ اقْتَصَرْتُ عَلَىٰ القُرْآنِ»[1]، وَمِثْلُ نَدَمِ سُفْيَانَ كَانَ مِنِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، إِذْ قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَنَدِمْتُ عَلَىٰ تَضْيِيعِ أَكْثَرِ أَوْقَاتِي فِي غَيْرِ مَعَانِي الْقُرْآنِ»[2]؛ ذَلِكَ أَنَّهُ أَجْمَعُ العُلُومِ وَأَكْمَلُهَا وَأَبْرَكُهَا؛ فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِذَا أَرَدْتُمُ الْعِلْمَ؛ فَأَثِيرُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»[3]؛ كَمَا أَنَّ فِيهِ خُلَاصَةَ عِلْمِ الأُمَمِ وَالمِلَلِ؛ فَهُوَ آخِرُهَا وَخَاتَمُهَا، وَأَحْدَثُهَا عَهْدًا بِاللهِ

---

(1) العِلَلُ وَمَعْرِفَةُ الرِّجَالِ لِأَحْمَدَ، رِوَايَةُ ابْنِهِ عَبْدِ اللهِ: 1/ 469.

(2) العُقُودُ الدُّرِّيَّةُ مِنْ مَنَاقِبِ شَيْخِ الإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ، لِشَمْسِ الدِّينِ الحَنْبَلِيِّ: 44.

(3) فَضَائِلُ القُرآنِ، لِلفِريَابِيِّ: 18.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فَبِهِ تَنْفَتِقُ العُقُولُ عَنْ فَهْمٍ وَمَعْرِفَةٍ، وَمِنْ مِشْكَاتِهِ تَنْبَعِثُ أَنْوَارُ الحِكْمَةِ وَالتَّجْرِبَةِ، وَمِنْهُ يَنْبُوعُ كُلِّ عِلْمٍ وَخِبْرَةٍ؛ فَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ فَهْمُ الْعَقْلِ، وَنُورُ الْحِكْمَةِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَأَحْدَثُ الْكُتُبِ عَهْدًا بِالرَّحْمَنِ»[1].

وَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ، وَلَا أَصْلَحُ لِلنَّفْسِ، وَلَا أَزْكَىٰ لِلرُّوحِ مِنَ الاشْتِغَالِ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ تِلَاوَةً وَتَفَكُّرًا وَتَدَبُّرًا وَتَبَصُّرًا؛ فَإِنَّهُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَأَحْوَالِ الْعَامِلِينَ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ الْمَحَبَّةَ، وَالشَّوْقَ، وَالْخَوْفَ، وَالرَّجَاءَ، وَالْإِنَابَةَ، وَالتَّوَكُّلَ، وَالرِّضَا، وَالتَّفْوِيضَ، وَالشُّكْرَ، وَالصَّبْرَ؛ وَسَائِرَ الْأَحْوَالِ؛ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَكَمَالُهُ؛ كَمَا يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ

---

(1) حِلْيَةُ الأَوْلِيَاءِ وَطَبَقَاتُ الأَصْفِيَاءِ، لِأَبِي نُعَيْمٍ: 5/ 376.

الْمَذْمُومَةِ، وَالتِي بِهَا فَسَادُ الْقَلْبِ وَهَلَاكُهُ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ؛ لَاشْتَغَلُوا بِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِالتَّفَكُّرِ هِيَ أَصْلُ صَلَاحِ الْقَلْبِ[1]، قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: «وَلَقَدِ اخْتَبَرْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ؛ فَمَا رَأَيْتُ فِيهَا فَائِدَةً تُسَاوِي الْفَائِدَةَ الَّتِي وَجَدْتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ يَسْعَىٰ فِي تَسْلِيمِ الْعَظَمَةِ وَالْجَلَالِ بِالْكُلِّيَّةِ للهِ تَعَالَىٰ»[2].

وَإِنَّنِي أَقْصِدُ بِتَدْوِينِ بَصَائِرِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ تَعْظِيمَ كَلَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي قُلُوبِ عِبَادِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَتَعْظِيمَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي قُلُوبِ العِبَادِ، وَتَحْبِيبَ كَلَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَىٰ عِبَادِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَحْبِيبَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إِلَىٰ العِبَادِ،

(1) انْظُرْ: مِفْتَاحَ دَارِ السَّعَادَةِ وَمَنْشُورَ وِلَايَةِ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ، لِابْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ: 1/ 187.

(2) المَحْصُولُ، لِلرَّازِيِّ: 1/ 68.

وَتَعْبِيدَ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ أَسَاسٍ مِنَ الحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ؛ فَإِنَّ الحُبَّ بِدُونِ تَعْظِيمٍ قَدْ يُفْضِي إِلَىٰ التَّبَذُّلِ، وَتَرْكِ الصِّيَانَةِ، وَقِلَّةِ الأَدَبِ، وَجُرْأَةٍ عَلَىٰ المَحْبُوبِ.

كَمَا أَقْصِدُ بِهِ تَأْدِيبَ العِبَادِ بِأَدَبِ القُرآنِ؛ فَإِنَّمَا الأَدَبُ أَدَبُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

ثُمَّ إِنَّنِي أَرَدْتُ الظَّفَرَ بِشَرَفِ التَّبْلِيغِ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلَامَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ قِيَامُ الْعَبْدِ بِوَاجِبِ التَّبْلِيغِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ أَكْثَرَ؛ كَانَ حَظُّهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَرَسُولِهِ ﷺ أَعْظَمَ؛ إِذْ هُوَ الْقَائِلُ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»[1].

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 4/ 170، رقم: (3461).

ثُمَّ إِنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أَفُوزَ بِالْخَيْرِيَّةِ الَّتِي وَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1]، وَطَمِعْتُ أَنْ أَدْخُلَ فِي زُمْرَةِ خَاصَّةِ أَهْلِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَذَلِكَ وَعْدُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ»[2].

كَمَا أَسْعَىٰ جُهْدِي؛ مُسْتَعِينًا بِرَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ لِأَنْ أَبْلُغَ بِهِ رُتْبَةَ الرَّبَّانِيِّينَ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ لَا يَزَالُ يَتَعَلَّمُ كِتَابَ اللهِ تَعَالَىٰ وَيُعَلِّمُهُ، وَيَدْرُسُهُ، وَيُدَرِّسُهُ، وَيَعْمَلُ بِمَا فِيهِ مِنْ مَوَاعِظَ وَحِكَمٍ وَأَحْكَامٍ؛ حَتَّىٰ يَبْلُغَ رُتْبَةَ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهَا: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79].

---

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 6/ 192، رقم: (5027).

(2) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه فِي سُنَنِهِ: 1/ 78، رقم: (215)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

أَلَا وَإِنَّ أَنْفَعَ مَا يُعِدُّ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ فِي ظُلْمَةِ قَبْرِهِ، وَعِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ؛ الاشْتِغَالُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَلِذَلِكَ أَوْقَفَ الْعُلَمَاءُ أَعْمَارَهُمْ عَلَيْهِ؛ قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَخْتَارَ لِنَفْسِي، وَأَنْظُرَ فِي عِلْمٍ أُعِدُّ أَنْوَارَهُ لِظُلْمِ رَمْسِي (قَبْرِي)، سَبَرْتُهَا بِالتَّنْوِيعِ وَالتَّقْسِيمِ، وَعَلِمْتُ أَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ عَلَىٰ قَدْرِ شَرَفِ الْمَعْلُومِ؛ فَوَجَدْتُ أَمْتَنَهَا حِبَالًا، وَأَرْسَخَهَا جِبَالًا، وَأَجْمَلَهَا آثَارًا، وَأَسْطَعَهَا أَنْوَارًا، عِلْمَ كِتَابِ اللهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَرَجَوْتُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحَرِّمُ عَلَىٰ النَّارِ فِكْرًا عَمَرْتُهُ أَكْثَرَ عُمُرِهِ مَعَانِيهِ، وَلِسَانًا مَرَنَ عَلَىٰ آيَاتِهِ وَمَثَانِيهِ، وَنَفْسًا مَيَّزَتْ بَرَاعَةَ رَصْفِهِ وَمَبَانِيهِ؛ فَثَنَّيْتُ إِلَيْهِ عَنَانَ النَّظَرِ، وَأَقْطَعْتُهُ جَانِبَ الْفِكَرِ، وَجَعَلْتُهُ فَائِدَةَ الْعُمُرِ»[1].

---

(1) الْمُحَرَّرُ الوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الكِتَابِ العَزِيزِ، لابْنِ عَطِيَّةَ: 1/ 34.

وَإِنَّ كُلَّ عِلْمٍ يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُقَ عَلَيْهِ قَولُ: (مَا تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ مِنْهُ شَيْئًا) -عَلَىٰ ضَعْفٍ فِي المَقُولَةِ- إِلَّا كِتَابَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ الكِتَابُ الذِي «لَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَىٰ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ»، فَلَوْ قَرَأَ أَلْفُ أَلْفٍ مِنَ العُلَمَاءِ الحُذَّاقِ آيَةً وَاحِدَةً فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ وَمَكَانٍ وَاحِدٍ بِتَدَبُّرٍ وَتَبَصُّرٍ؛ لَوَجَدَ كُلُّ وَاحِدٍ غَيْرَ مَا وَجَدَ غَيْرُهُ مِنْهُ، وَلَوْ قَرَأَهُ أَهْلُ أَزْمِنَةٍ وَأَمْكِنَةٍ مُتَغَايِرَةٍ؛ لَوَجَدَ فِيهِ كُلُّ أَهْلِ زَمَانٍ مَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَلَوَجَدَ فِيهِ كُلُّ أَهْلِ مَكَانٍ مَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ المَكَانِ؛ فَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ مَا أَعْظَمَكَ وَمَا أَعْلَمَكَ وَمَا أَحْكَمَكَ!

وَإِنَّنِي بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ عَكَفْتُ عَلَىٰ تَدَبُّرِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتُبَصُّرِهِ، وَاقِفًا عِنْدَ مَعْنَىٰ اللَّفْظَةِ فِي أَصْلِهَا الْمُعْجَمِيِّ، وَدِلَالَتِهَا عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ الْمَقْصُودِ مِنَ الْآيَةِ؛ ثُمَّ اسْتِنْبَاطِ مَا فِي الْآيَاتِ مِنْ مَعَانٍ تَرْبَوِيَّةٍ، وَفَوَائِدَ قَلْبِيَّةٍ، وَفُتُوحٍ رَبَّانِيَّةٍ.

وَبَصَائِرُنَا هَذِهِ فُتُوحٌ مِنْ فُتُوحِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَهِيَ إِمَّا أَنَّهَا مَعَانٍ اسْتَفَدْنَاهَا مِنْ نَظَرِنَا فِي الْآيَاتِ مُبَاشَرَةً، بِدُونِ وَسَاطَةٍ، وَتَدَبُّرِنَا لِمَا فِيهَا مِنْ مَعَانٍ وَمَغَانٍ، مِمَّا فَتَحَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْنَا.

وَإِمَّا أَنَّنَا اسْتَفَدْنَاهَا مِنْ أَفْوَاهِ الْإِخْوَانِ فِي مَجَالِسِ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ، وَتَدَبُّرِنَا لِمَا فِيهَا مِنْ دُرَرٍ وعِبَرٍ.

وَإِمَّا أَنَّنَا اسْتَفَدْنَاهَا مِنْ نَظَرِنَا فِي كُتُبِ أَئِمَّةِ أَهْلِ الصَّنْعَةِ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَتَدَبُّرِنَا لِمَا فِيهَا مِنْ فَوَائِدَ وَفَرَائِدَ؛ أَعَدْنَا صِيَاغَتَهَا بِلُغَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَبِشَيْءٍ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ.

ثُمَّ إِنَّنِي ذَيَّلْتُ بَصَائِرَ كُلِّ آيَةٍ بِبَصِيرَةِ (هِدَايَاتِ الآيَةِ)، وَهِيَ التَّعَبُّدَاتُ القَلْبِيَّةُ وَالعَمَلِيَّةُ الْمُسْتَفَادَةُ مِنَ الآيَةِ؛ تَأَوُّلًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، وَتَقْرِيبًا لِلْعَمَلِ بِالبَصَائِرِ عَلَىٰ الوَجْهِ المَيْسُورِ.

وَلَسْتُ أَقْصِدُ بِدِرَاسَتِي هَذِهِ تَفْسِيرَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْوُقُوفَ عَلَىٰ كَلَامِ الْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ الْآيَاتِ؛ وَإِنَّمَا أَرَدْتُ أَخْذَ زُبْدَةِ التَّفْسِيرِ، وَالْوُقُوفَ عِنْدَ مَقْصُودِهِ، وَالْعَمَلَ بِغَايَاتِهِ، وَقَدْ أَسْمَيْتُهُ: (**بَصَائِرُ قُرآنِيَّةٌ**)؛ وَمِنَ الْعُنْوَانِ يُقْرَأُ الْمَكْتُوبُ؛ فَإِنَّ الْبَصِيرَةَ بَصَرُ الْقَلْبِ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَىٰ الْقُرْآنِ؛ إِذِ الْمَقْصُودُ مِنَ الْمَادَّةِ النَّظَرُ بِعَيْنِ الْقَلْبِ إِلَىٰ مَا وَرَاءَ الْأَلْفَاظِ مِنْ مَعَانٍ، وَتَحْرِيكُ الْقَلْبِ بِهِ، وَتَهْيِيجُ الْبَدَنِ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِفَوَائِدِهَا.

وَإِنَّنِي أَفْتَتِحُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ؛ عَاقِدًا الْعَزْمَ عَلَىٰ إِتْمَامِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مُسْتَعِيذًا بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنْ تَعْوِيقِ العَوَائِقِ، وصَرْفِ الصَّوَارِفِ، وَقَطْعِ الْقَوَاطِعِ؛ فَإِنْ أَدْرَكْتُ الْمَأْمُولَ؛ فَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَهُوَ الَّذِي يُبَارِكُ فِي الْأَعْمَارِ؛ وَإِنْ عَاجَلَتِ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ تَمَامِ الْمَقْصِدِ؛ فَإِنَّ حَسْبِيَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ

كَرِيمٌ جَوَادٌ يُعْطِي عَلَىٰ النِّيَّةِ مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ الْعَمَلِ، وَلَقَدْ جَاءَ مِنْ قَوْلِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ»[1].

وَلَقَدْ جَمَعَتُ هَذِهِ الْبَصَائِرَ وَخَطَطْتُهَا لِنَفْسِي، وَلِخَاصَّةِ جُلَّاسِي مِنْ أَهْلِي وَإِخْوَانِي؛ وَلَئِنْ كُتِبَ لَهَا الْقَبُولُ عِنْدَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَذَلِكَ فَضْلُ اللهِ تَعَالَىٰ وَكَرَمُهُ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ وَأَهْلُ كُلِّ خَيْرٍ.

وَإِنَّنِي مُتَوَسِّلٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَبِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، ثُمَّ بِهَذِهِ الْبِضَاعَةِ أَنْ يَجْمَعَ لِي وَلِكُلِّ مَنْ أَعَانَ عَلَيْهِ كُلَّ مَا وَعَدَ مِنْ فَضِيلَةٍ لِأَهْلِ الْقُرآنِ؛ وَأَنْ يُقَرِّبَنِي مِنْهُ بِهِ زُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ؛ فَهُوَ سُبْحَانَهُ أَهْلُ ذَلِكَ، وَهُوَ أَهْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَإِنَّمَا نَحْنُ بِاللهِ تَعَالَىٰ، لَا بِأَنْفُسِنَا.

---

(1) الزُّهْدُ، لِأَحْمَدَ: 261.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ علىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ سَائِرِ النَّبِيِّينِ، وآلِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُ علَىٰ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

وكتبه

زكريا بن طه شحادة

سُدَاسِيَّةُ الْقُرْآنِ

سِتَّةُ مَرَاحِلَ مَنِ اسْتَجْمَعَهَا؛ فَقَدْ كَمُلَ انْتِفَاعُهُ بِالْقُرْآنِ:

الأُولَىٰ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ عَلَىٰ الوَجْهِ الْمَرْضِيِّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة: 121].

الثَّانِيَةُ: إِمْرَارُهُ عَلَىٰ الْقَلْبِ، وَتَثْوِيرُهُ فِي الْفُؤَادِ، كَأَنَّكَ تَسْمَعُهُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ حَتَّىٰ يَوْجَلَ الْقَلْبُ، أَوْ يَقْشَعِرَ الْجِلْدُ، أَوْ تَذْرِفَ الْعَيْنُ؛ وَهَذَا هُوَ الْخُشُوعُ.

الثَّالِثَةُ: مَعْرِفَةُ مَعَانِي الْآيَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَالسِّيَاقِيَّةِ، وَأَحْكَامِهَا؛ بِوَاسِطَةِ الرُّجُوعِ إِلَىٰ الْكُتُبِ وَالْمُفَسِّرِينَ، وَهَذَا **تَفْسِيرُهُ**.

الرَّابِعَةُ: اسْتِنْبَاطُ الْفَوَائِدِ وَاللَّطَائِفِ وَالْحِكَمِ وَالْأَسْرَارِ الَّتِي وَرَاءَ الْمَعَانِي، وَالْوُقُوفُ عِنْدَ عَجَائِبِهِ؛ بِطَرِيقِ التَّأَمُّلِ وَإِعْمَالِ الْفِكْرِ، وَالْوُقُوفُ عَلَىٰ أَدْبَارِ الْآيَاتِ، وَإِرْجَاعُ الْفِكْرِ فِي الْآيَاتِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؛ وَهَذَا **تَدَبُّرُهُ**: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: 29].

الْخَامِسَةُ: اسْتِنْبَاطُ الْهِدَايَاتِ الْكَامِنَةِ فِي الْآيَاتِ، الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تُطَبَّقَ عَمَلِيًّا؛ بِوَاسِطَةِ التَّفْسِيرِ وَالتَّدَبُّرِ، وَالْعَمَلِ بِهَا؛ وَهِيَ ثَمَرَةُ التَّدَبُّرِ، وَهَذِهِ **هِدَايَاتُهُ**: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2].

السَّادِسَةُ: تَعْلِيمُ النَّاسِ مَعَانِيَهِ وَأَحْكَامَهُ وَفَوَائِدَهُ وَهِدَايَاتِهِ، وَحَمْلُهُمْ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِهَا؛ وَهَذَا **تَبْلِيغُهُ**: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»(1).

وَهَذِهِ هِيَ غَايَةُ التِّلَاوَةِ وَمَقْصُودُهَا، وَهِيَ رَبَّانِيَّةُ التَّرْبِيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79].

زكريا بن طه شحادة

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 4/ 170، رقم: (3461).

عَقِيدَتُنَا فِي الكِتَابِ

عَقِيدَتُنَا فِي هَذَا الكِتَابِ عَقِيدَةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَهُوَ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ، وَمَا أَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ ﷺ وَنَفْيُ مَا نَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ نَفْسِهِ، وَمَا نَفَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ وَلَا تَكْيِيفٍ؛ فَالضَّابِطُ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ مَنْهَجُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عِنْدَ السَّلَفِ هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؛ فَكُلُّ مَا ثَبَتَ فِيهِمَا مِنَ الصِّفَاتِ يُوصَفُ بِهِ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ أُسُسٍ ثَلَاثَةٍ:

1- تَنْزِيهُ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ.

2- الْإِيمَانُ بِالصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَعَدَمُ التَّعَرُّضِ لِنَفْيِ مَا أَثْبَتَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ.

3- قَطْعُ الطَّمَعِ عَنْ إِدْرَاكِ الْكَيْفِيَّةِ.

فَنَحْنُ نَسِيرُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ وَفْقَ مَا تَقَرَّرَ مِنْ عَقِيدَةِ السَّلَفِ رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ الْعَقِيدَةُ الَّتِي نَدِينُ للهِ تَعَالَىٰ بِهَا: حَيَاةً وَمَمَاتًا، وَكُلُّ مَا يُخَالِفُهَا مِمَّا نُورِدُهُ فَهُوَ سَقْطٌ وَسَهْوٌ، نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، وَعَنْهُ إِلَىٰ الْحَقِّ رَاجِعُونَ؛ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْهَادِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

بَصَائِرُ قُرآنِيَّةٌ

بَصَائِرُ سُورَةِ الفَاتِحَةِ (1)

سُورَةُ الفَاتِحَةِ ١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

وَآيَاتُهَا سَبۡعٌ

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (1)

(فِي فَضْلِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ) (1)

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ أَجْمَعُ سُورَةٍ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ جَمِيعِ رُسُلِهِ، وَفِي جَمِيعِ الْكُتُبِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا أَوْضَحَتْ حَقَّ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ، وَسَبِيلَ الْوَفَاءِ بِهِ، وَحَظَّ الْعَبْدِ، وَطَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ غَايَةٌ تُرَادُ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»[1].

---

(1) أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ: 5/ 155، رقم: (2875)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

(فِي فَضْلِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ) (2)

الْفَاتِحَةُ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِعَظَمَةِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَعَظِيمِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلَمَّا كَانَتْ كَذَلِكَ؛ جُعِلَتْ سُورَةَ الصَّلَاةِ، الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ الْعِبَادَاتِ، وَرُكْنَهَا الَّذِي لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ إِلَّا بِهِ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّىٰ، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ لِي: «**لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: «أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ

فِي الْقُرْآنِ»، قَالَ: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الْفَاتِحَة: 2] «هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»[1].

(1) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 6/ 17، رقم: (4474).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (3)

(فِي فَضْلِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ) (3)

مِنْ خَيْرِ مَا يَسْتَشْفِي بِهِ الْمُسْتَشْفُونَ، وَيَسْتَرْقِي بِهِ الْمُسْتَرْقُونَ الْفَاتِحَةُ؛ لَا سِيَّمَا إِذَا قُرِئَتْ بِالْيَقِينِ عَلَىٰ نِيَّةِ الشِّفَاءِ؛ فَعَلَىٰ قَدْرِ الْيَقِينِ وَالنِّيَّةِ؛ يَكُونُ أَثَرُهَا فِي الْمُسْتَشْفِي وَالْمُسْتَرْقِي؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا فِي سَفَرٍ، فَمَرُّوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقَالُوا لَهُمْ: هَلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فَإِنَّ سَيِّدَ الْحَيِّ لَدِيغٌ أَوْ مُصَابٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: نَعَمْ، فَأَتَاهُ فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِنْ غَنَمٍ، فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقَالَ: حَتَّىٰ أَذْكُرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ مَا رَقَيْتُ

إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ؛ فَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: «وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟» ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا مِنْهُمْ، وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ مَعَكُمْ»[1].

(1) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 8/ 8، رقم: (6000)، وَمُسْلِمٌ: 4/ 2108، رقم: (2752).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (4)

(فِي فَضْلِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ) (4)

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ نُورٌ لِقَارِئِهَا وَتَالِيهَا؛ الَّذِي يَتَدَبَّرُهَا، وَيَعْمَلُ بِهَا، وَيَدْعُو بِهَا؛ يُضِيءُ نُورُهَا بَصِيرَتَهُ؛ فَيَرَىٰ مَا يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ وَآخِرَتِهِ؛ إِذِ النُّورُ نُورَانِ: نُورٌ لِلْأَبْصَارِ تَرَىٰ فِيهِ الْعُيُونُ حَقَائِقَ الدُّنْيَا، وَنُورٌ لِلْبَصَائِرِ تَرَىٰ فِيهَا الْقُلُوبُ حَقَائِقَ الدِّينِ؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ،**

وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ»[1]،

وَالْمَعْنَىٰ: إِنَّكَ مَا اسْتَعَنْتَ بِهِمَا عَلَىٰ قَضَاءِ مُهِمَّاتِ حَوَائِجِك إِلَّا أُعْطِيتَ تِلْكَ الحَوائِجَ، أَوْ أُعْطِيتَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْآيَاتُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ.

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: 1/ 554، رقم: (806).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (5)

(فِي فَضْلِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ) (5)

كَثُرَتْ أَسْمَاءُ الْفَاتِحَةِ؛ فَهِيَ: الْفَاتِحَةُ، وَأُمُّ الْقُرْآنِ، أَوْ أُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَسُورَةُ الْحَمْدِ، وَالْكَنْزُ، وَالْوَاقِيَةُ، وَالشَّافِيَةُ، وَالْكَافِيَةُ، وَالْأَسَاسُ، وَالرُّقْيَةُ، وَسُورَةُ الصَّلَاةِ... حَتَّىٰ إِنَّ السُّيُوطِيَّ ذَكَرَ لَهَا خَمْسَةً وَعِشْرِينَ اسْمًا، وَمَا كَثُرَتْ أَسْمَاؤُهَا إِلَّا لِعَظَمَةِ مَوْقِعِهَا؛ فَإِنَّ لِكُلِّ اسْمٍ مِنْهَا دِلَالَةٌ وَمَوْقِعٌ؛ وَمِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ الْعَرَبَ إِذَا عَظُمَ الشَّيْءُ عِنْدَهُمْ؛ أَكْثَرُوا لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (6)

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (1)

لَا شَيْءَ أَحبُّ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ سَمَاعِ كَلَامِهِ، وَلَا شَيْءَ أَغِيظُ لِلشَّيْطَانِ مِنْ سَمَاعِ كَلَامِ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ؛ فَيَجْتَهِدُ اللَّعِينُ بِكُلِّ حِيلَةٍ؛ لِصَرْفِ الْعَبْدِ عَنْ تِلَاوَتِهِ، فَإِنْ عَصَاهُ وتَلَا؛ احْتَالَ الخَبِيثُ بِكُلِّ وَسْوَسَةٍ؛ لِصَرْفِ فِكْرِهِ عَنْ تَعَقُّلِ كَلَامِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالانْتِفَاعِ بِهِ، وَحَجْبِهِ عَنْ أَنْ يَسْتَقِرَّ قَرَارُهُ فِي قَلْبِهِ؛ لِذَلِكَ أَمَدَّ اللهُ تَعَالَىٰ الْعَبْدَ بِمَدَدِ الاسْتِعَاذَةِ؛ لِيَرُدَّ بِهَا كَيْدَهُ وَوَسْوَسَتَهُ؛ وَلِيَظْفَرَ بِبَرَكَةِ تِلَاوَةِ كِتَابِ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (7)

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (2)

مَادَّةُ (عَوَذَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ الالْتِجَاءِ والاعْتِصَامِ وطَلَبِ الحِمَايَةِ؛ وَإِنَّهُ إِذَا تَهَيَّأَ الْعَبْدُ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ تَهَيَّأَ الشَّيْطَانُ لِلْهُجُومِ عَلَىٰ أَفْكَارِهِ بِوَسَاوِسِهِ؛ وَلَا سَبِيلَ لِصَرْفِهِ وَدَفْعِهِ بِمِثْلِ أَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ مَعْنَىٰ الاعْتِصَامِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ، وَالاحْتِمَاءِ بِهِ، وَالْفِرَارِ إِلَيْهِ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ الَّذِي يَتَهَيَّأُ لِلْهُجُومِ عَلَىٰ فِكْرِهِ بِالْوَسْوَسَةِ، وَأَنْ يَحْمِيَهُ مِنْ وَسَاوِسِهِ وَخَطَرَاتِهِ وَغَارَاتِهِ؛ وَهَذَا الْمَطْلُوبُ مِنْ مَعْنَىٰ الاسْتِعَاذَةِ حَالًا وَمَقَالًا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (8)

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (3)

مَا يَقْطَعُ الْعَبْدَ عَنْ رَبِّهِ جَلَّجَلَالُهُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ أَرْبَعَةٌ: الشَّيْطَانُ، وَالنَّفْسُ، وَالدُّنْيَا، وَالْخَلْقُ؛ وَالْأَرْبَعَةُ مَرَدُّهَا إِلَىٰ وَاحِدٍ، هُوَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّهُ يُورِدُ عَلَىٰ فِكْرِهِ فِي صَلَاتِهِ مِنْ هَوَىٰ النَّفْسِ وَمُشْتَهَيَاتِهَا، وَمِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا وَمَلَاذِّهَا، وَمِنْ صُوَرِ الْخَلْقِ وَأَحْوَالِهِمْ مَا يَشْغَلُهُ عَنْ تِلَاوَتِهِ؛ فَمَنْ ضَمِنَ رَدَّ وَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ؛ فَقَدْ كُفِيَ الثَّلَاثَةَ الْأُخْرَىٰ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ بِمِثْلِ الاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (9)

﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (4)

التَّعَبُّدُ بِلَفْظِ الاسْتِعَاذَةِ مِنْ أَجَلِّ التَّعَبُّدَاتِ وَالتَّنَعُّمَاتِ؛ فَفِي قَوْلِ (أَعُوذُ بِاللهِ) اعْتِرَافٌ بِعَجْزِ الْعَبْدِ وَضَعْفِهِ عَنْ مُوَاجَهَةِ الشَّيْطَانِ بِنَفْسِهِ؛ وَإِقْرَارٌ بِقُوَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ صَرْفِ الشَّيْطَانِ وَدَفْعِهِ؛ وَكَفَىٰ بِقَلْبِ الْعَبْدِ مِنَ التَّعَبُّدِ وَالتَّنَعُّمِ أَنْ يَشْهَدَ نَقْصَ نَفْسِهِ، وَكَمَالَ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (10)

﴿أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (5)

مَادَّةُ (شَطَنَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ البُعْدِ، والشَّيْطَانُ بَعِيدٌ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَهِدَايَاتِهِ، وَالْعَبْدُ إِذَا اسْتَعَاذَ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ اقْتَرَبَ مِنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ بِقَدْرِ قُوَّةِ اسْتِعَاذَتِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالرَّجِيمُ: الْمَرْجُومُ، فَهُوَ الْمَرْجُومُ بِشِهَابِ اللَّعْنِ وَالشِّقْوَةِ وَالإِبْعَادِ، الْمَقْطُوعُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَعَنْ رَحْمَتِهِ؛ وَالْعَبْدُ إِذَا اسْتَعَاذَ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ اتَّصَلَ بِاللهِ تَعَالَىٰ بِقَدْرِ قُوَّةِ اسْتِعَاذَتِهِ بِالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (١١)

﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (6)

لَوْ أَنَّ ضَعِيفًا مَطْلُوبًا اسْتَغَاثَ بِوَالِي الْبَلَدِ مِنْ عَدُوِّهِ الْمُؤْذِي الْمُغِيرِ، وَكَانَ حَامِي الْبَلَدِ وَالِدَهُ الْحَبِيبِ؛ فَمَا الظَّنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ وَبِعَدُوِّهِ الْمُؤْذِي الْمُغِيرِ؛ وَاللهُ تَعَالَىٰ أَوْلَىٰ بِالْعَبْدِ مِنْ وَالِي بَلَدِهِ وَمِنْ وَالِدِهِ الْحَمِيمِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ فَمَا عَلَىٰ الْعَبْدِ إِلَّا أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَ قَلْبِهِ، وَيُسْمِعَ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَوَلِيَّهُ الْحَقَّ: (أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)؛ فَمَا أَسْرَعَ الْغَوْث عِنْدَهَا، وَما أسرعَ النَّجَاةَ!

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (12)

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (7)

الانْتِفَاعُ بِالاسْتِعَاذَةِ إِنَّمَا يَكُونُ عَلَى قَدْرِ صِدْقِ الاسْتِغَاثَةِ وَقُوَّتِهَا؛ فَمَنْ كَانَ فِي اسْتِعَاذَتِهِ أَصْدَقُ وَأَقْوَى؛ كَانَ غَوْثُ اللهِ تَعَالَى لَهُ أَسْرَعَ، وَمِنْهُ أَقْرَب، وَصِدْقُ الاسْتِعَاذَةِ وَقُوَّتُهَا يَتَحَقَّقُ بِمُوَاطَأَةِ الْقَلْبِ اللِّسَانَ عَلَى الاسْتِعَاذَةِ؛ مُسْتَحْضِرًا مَعْنَاهَا: ضَعْفًا وَعَجْزًا وَحَاجَةً وَالْتِجَاءً مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ، وَقُوَّةً وَغَلَبَةً وَإِغَاثَةً وَحِمَايَةً مِنْ جِهَةِ رَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (13)

﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (8)

هِدَايَاتُ الاسْتِعَاذَةِ: اللُّجُوءُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالاعْتِصَامُ بِهِ، وَطَلَبُ الْعِصْمَةِ بِهِ وَالْحِمَايَةِ مِنْهُ فِي مُوَاجَهَةِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فِي أُمُورِ الْعَبْدِ كُلِّهَا، وَأَخَصُّ مَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْعِبَادَاتِ، وَأَخَصُّ مَا يَكُونُ عِنْدَ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي الصَّلَاةِ وَفِي خَارِجِهَا؛ فَيَحْتَمِي الْعَبْدُ بِرَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَيَسْتَعِيذُ بِهِ قَبْلَ الْعِبَادَةِ بِصِيَغِ الاسْتِعَاذَةِ الْمَشْرُوعَةِ؛ لِيَصْرِفَ عَنْهُ وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِذَا كَانَتِ الْعِبَادَةُ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ؛ لِتَأْخُذَهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْعِبَادَةِ إِلَىٰ خَوَاطِرِ الدُّنْيَا؛ وَتُفْسِدَ عَلَيْهِ عِبَادَتَهُ؛ أَسْرَعَ إِلَىٰ الاسْتِعَاذَةِ وَالالْتِجَاءِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ جَدِيدٍ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُ الْعَبْدِ فِي عِبَادَتِهِ كُلِّهَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (14)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ (1)

فِي تِلَاوَةِ الْبَسْمَلَةِ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي آيِ الْقُرْآنِ إِعْلَانٌ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِي السُّورَةِ الْمَتْلُوَّةِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ سِوَاهُ فِيهِ شَيْءٌ، وَأَنَّهَا رَسَائِلُهُ تَعَالَىٰ وَصَلَتْ مِنْهُ إِلَيْنَا، فَحَرِيٌّ بِقَلْبٍ يَشْهَدُ هَذَا أَنْ يُصْغِيَ لِتَلَقِّي مَا فِيهَا مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهٍ وَأَخْبَارٍ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (15)

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ (2)

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مَادَّةُ (سَمَوَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ، وَمَادَّةُ (وَسَمَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَثَرٍ وَمَعْلَمٍ، وَاشْتِقَاقُ كَلِمَةِ (اسم) يَحْتَمِلُ الْوَجْهَيْنِ، فَهُوَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا مِنَ السُّمُوِّ وَالْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَ الاسْمِ يَرْتَفِعُ بِاسْمِهِ؛ لِذَلِكَ يَجْتَهِدُ النَّاسُ فِي اخْتِيَارِ أَفْضَلِ الْأَسْمَاءِ وَأَشْرَفِهَا لِلدَّلَّةِ عَلَىٰ مُسَمَّيَاتِهِمْ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُشْتَقًّا مِنَ السِّمَةِ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ؛ لِأَنَّ الاسْمَ يُوضَعُ عَلَامَةً وَدَلِيلًا لِمَنْ وُضِعَ لَهُ، وَاسْمُ اللهِ تَعَالَىٰ أَرْفَعُ الْأَسْمَاءِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَىٰ ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ؛ وَاسْتِخْدَامُ كَلِمَةِ (اسْمِ الْجَلِيلِ) مَعَ اسْمِ (اللهِ) أَنْسَبُ مِنْ كَلِمَةِ (لَفْظِ الْجَلَالَةِ)؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ (لَفْظِ) الْمُعْجَمِيَّةِ تَدُلُّ عَلَىٰ طَرْحِ الشَّيْءِ كَانَ فِي فِيكَ وَرَمْيِهِ وَنَبْذِهِ؛ وَهَذَا لَا يُنَاسِبُ جَلَالَةَ الاسْمِ الْجَلِيلِ جَلَّ جَلَالُهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (16)

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ (3)

فِي الْبَاءِ الدَّاخِلَةِ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ مَعْنَىٰ الاسْتِعَانَةِ؛ وَمَا اسْتَعَانَ مُسْتَعِينٌ بِمِثْلِ عَبْدٍ يَسْتَعِينُ بِرَبِّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَإِنَّهُ مَا اسْتَعَانَ عَبْدٌ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ؛ إِلَّا أَيَّدَهُ وَسَدَّدَهُ وَنَصَرَهُ وَكَفَاهُ مَا اسْتَعَانَ بِهِ عَلَيْهِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ؛ تَعَاظَمَ حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ؛ تَصَاغَرَ حَتَّىٰ يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»[1]؛ فَأَقْوَىٰ النَّاسِ فِي كُلِّ أَمْرٍ؛ الْمُسْتَعِينُ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ أَمْرٍ.

---

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: 4/ 296، رقم: (4982)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (17)

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ (4)

مَعَ اسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ الْأَمْنُ وَالْأَمَانُ، وَالسَّلَامَةُ وَالْإِسْلَامُ؛ فَلَا ضَرَرَ يُدْرِكُ الْمُتَحَصِّنَ بِهِ، وَلَا مُؤْذِيَ يُؤْذِيهِ بِسُوءٍ، وَلَا بَطَلَةَ الشَّيَاطِينِ تَسْتَطِيعُهُ بِشُرُورٍ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ»[1].

---

(1) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: 4/ 323، رقم: (5088)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (18)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ (5)

فِي تِلَاوَةِ الْبَسْمَلَةِ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِي آيِ الْقُرْآنِ تَبَرُّكٌ بِـ(بِاسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ)؛ فَإِنَّ اسْمَ اللهِ تَعَالَىٰ مَا وُضِعَ عَلَىٰ شَيْءٍ؛ إِلَّا بَارَكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ؛ فَإِذَا وُضِعَ عَلَىٰ قَلِيلٍ؛ كَثَّرَهِ، وَإِذَا وُضِعَ عَلَىٰ ضَعِيفٍ؛ قَوَّاهُ، وَإِذَا وُضِعَ عَلَىٰ مَرِيضٍ؛ أَبْرَاهُ...، وَإِذَا وُضِعَ عَلَىٰ التِّلَاوَةِ؛ بَارَكَهَا وَزَكَّاهَا، وَكَثُرَتْ عَلَىٰ الْقَارِئِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ خَيْرَاتُهَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (19)

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ (6)

السِّرُّ فِي اقْتِرَانِ التَّسْمِيَةِ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ: (اللهُ) –وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ– أَنَّ اسْمَ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ دِلَالَةُ التَّعَبُّدِ: فَالْمَأْلُوهُ: الْمَعْبُودُ، وَالتَّأَلُّهُ: التَّعَبُّدُ؛ وَلَمَّا كَانَ الْعَبْدُ مُتَقَرِّبًا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِتِلَاوَتِهِ؛ نَاسَبَهُ أَنْ يَذْكُرَ الاسْمَ الدَّالَّ عَلَىٰ الْعِبَادَةِ؛ ثُمَّ إِنَّ اسْمَ اللهِ: (اللهُ) الاسْمُ الْجَامِعُ لِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ كُلِّهَا؛ فَكَأَنَّهُ ابْتَدَأَ بِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ سَمَّىٰ بِهَا نَفْسَهُ، أَوْ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَّمَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، أَوْ اسْتَأْثَرَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (20)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ (7)

مَا عَبَدَ مَنْ عَبَدَ، وَلَا صَلَّىٰ مَنْ صَلَّىٰ، وَلَا تَلَا الْقُرْآنَ مَنْ تَلَا؛ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِهِ؛ (فالرَّحْمنُ الرَّحِيمُ) إِعْلامٌ بِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ إِنَّمَا نَزَلَتْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ ثُمَّ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَىٰ بِعَبْدِهِ فِي تَيْسِيرِ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ أَعْظَمُ مِنْ رَحْمَتِهِ لَهُ فِي تَيْسِيرِ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ؛ وَفِي كِلَيْهِمَا مَأْمُورٌ بِالْبَسْمَلَةِ؛ فَبِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَحْيَا الْأَبْدَانُ؛ وَبِالتِّلَاوَةِ تَحْيَا الْقُلُوبُ؛ وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ أَلْزَمُ لِلْعَبْدِ مِنْ حَيَاةِ الْبَدَنِ؛ فَلَوْ مَاتَ بَدَنُ الْعَبْدِ؛ فَمَصِيرُهُ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَوْ مَاتَ قَلْبُهُ؛ فَمَصِيرُهُ إِلَىٰ الْجَحِيمِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (21)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ (8)

اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَىٰ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ لَا غِنَىٰ لَهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ حَاجَتُهُمْ إِلَىٰ الرَّحْمَةِ؛ عِنْدَ عِبَادَتِهِ وَتِلَاوَةِ كَلَامِهِ؛ فَعَلَيْهَا يَتَرَتَّبُ مَصِيرُ الْعَبْدِ دُنْيَا وَأُخْرَىٰ، وَإِنَّهُ كُلَّمَا اشْتَدَّتْ حَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَىٰ الرَّحْمَةِ؛ كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِمْ أَرْحَمَ؛ لِذَلِكَ ضَاعَفَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ فِي مَوْطِنِ الْبَسْمَلَةِ، فَجَمَعَ لَهُمُ الاسْمَيْنِ مَعًا: (الرَّحْمَنُ، وَالرَّحِيمُ).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (22)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ (9)

الرَّحْمَنُ: ذُو النِّهَايَةِ فِي الرَّحْمَةِ، عَظِيمُ الرَّحْمَةِ فِي ذَاتِهِ؛ وَزِيَادَةُ الْأَلِفِ وَالنُّونِ فِي (الرَّحْمَانِ) تَدُلُّ عَلَىٰ الْكَثْرَةِ وَالامْتِلَاءِ؛ وَالرَّحِيمُ: الْمُتَفَضِّلُ بِهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ وَزْنَ فَعِيلٍ مِنْ أَوْزَانِ الْمُبَالَغَةِ وَالدَّوَامِ وَالتَّعْدِيَةِ؛ فَرَحْمَتُهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ دَائِمَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ مُتَعَدِّيَةٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ مِنْ فَيْضِ رَحْمَانِيَّتِهِ فِي ذَاتِهِ؛ ولَمَّا كانَتْ صِيغَةُ (فَعْلَانَ) تَدُلُّ عَلَىٰ الصِّفَةِ الْعَارِضَةِ، وَلَا تَدُلُّ عَلَىٰ الدَّائِمَةِ، فَاحْتِيجَ إِلَىٰ صِيغَةٍ أُخْرَىٰ تَدُلُّ عَلَىٰ الصِّفَةِ الثَّابِتَةِ الدَّائِمَةِ وَهِيَ صِيغَةُ (فَعِيلٍ)؛ فَاجْتَمَعَ الرَّحِيمُ إِلَىٰ الرَّحْمنِ؛ لِيَكْمُلَ الخيْرُ؛ ثُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ

رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ قَبْلَ التِّلَاوَةِ بِالتَّوْفِيقِ إِلَيْهَا، وَبَعْدَ التِّلَاوَةِ بِقَبُولِهَا وَإِثَابَتِهِ عَلَيْهَا؛ فَنَاسَبَ أَنْ يَجْتَمِعَ لَهُ مِنَ الرَّحْمَةِ كِفْلَانِ: كِفْلٌ مَعَ (الرَّحْمَنِ)، وَكِفْلٌ مَعَ (الرَّحِيمِ)؛ لِيَتِمَّ الْفَضْلُ؛ وَتَكْمُلَ الرَّحَمَاتُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (23)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ (10)

بِالاسْتِعَاذَةِ يَحْصُلُ لِلْعَبْدِ التَّنَزُّهُ عَنْ أَسْبَابِ غِوَايَةِ الشَّيْطَانِ، وَالتَّخْلِيَةُ عَنْ كُلِّ إِثْمٍ وَطُغْيَانٍ، وَبِالْبَسْمَلَةِ يَحْصُلُ لَهُ التَّكْمِيلُ بِتَأْيِيدِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ، وَالتَّحْلِيَةُ بِكُلِّ بِرٍّ وَإِحْسَانٍ؛ وَبِاجْتِمَاعِهِمَا مَعًا عِنْدَ التِّلَاوَةِ يَكْمُلُ لِلْعَبْدِ كَمَالُ التَّخْلِيَةِ وَالتَّنْزِيهِ، وَالتَّحْلِيَةِ وَالتَّكْمِيلِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (24)

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ (11)

هِدَايَاتُ الْبَسْمَلَةِ: بَدَاءَةُ كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ بِـ(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؛ اسْتِعَانَةً وَتَبَرُّكًا وَتَوَسُّلًا، وَافْتِقَارًا بِإِعْلَانِ الْعَجْزِ عَنْ إِتْمَامِ أَمْرِهِ بِدُونِ عِنَايَةِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِهِ؛ مُسْتَحْضِرًا مَعْنَىٰ تَعَبُّدِهِ فِي أَمْرِهِ ذَلِكَ؛ وَهَذَا مُسْتَفَادٌ مِنِ اسْمِ (اللهِ)؛ مُلْتَمِسًا رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي إِتْمَامِ أَمْرِهِ ذَلِكَ عَلَىٰ أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَأَرْشَدِهَا صِحَّةً وَإِخْلَاصًا وَخُشُوعًا؛ وَهَذَا مُسْتَفَادٌ مِنِ اسْمَيِ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ).

(25)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (1)

(الْحَمْدُ للهِ) مَادَّةُ (حَمِدَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ مِدْحَةً، وَعَلَىٰ خِلَافِ الذَّمِّ؛ وَهُوَ الثَّنَاءُ عَلَىٰ جَمِيلِ مَا فِي الْمَحْمُودِ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ عَلَىٰ نِعْمَةٍ وَعَلَىٰ غَيْرِ نِعْمَةٍ؛ وَأَوْلَىٰ مَنْ حُمِدَ بِهَذَا الْمَعْنَىٰ هُوَ اللهُ جَلَّجَلَالُهُ؛ فَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُحْمَدُ حَمْدًا مُطْلَقًا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ: عَلَىٰ ذَاتِهِ، وَعَلَىٰ أَسْمَائِهِ، وَعَلَىٰ صِفَاتِهِ، وَعَلَىٰ أَفْعَالِهِ، وَلَا يُذَمُّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ وَهَذَا الْحَمْدُ الَّذِي هُوَ حَقُّ اللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لَيْسَ كَكُلِّ حَمْدٍ؛ فَهُوَ حَمْدٌ يَنْبَعِثُ مِنَ الْقُلُوبِ، فَتَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسُنُ طَوْعًا مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ؛ فَهُوَ حَمْدُ حُبٍّ وَتَعْظِيمٍ كَامِلَيْنِ، وَهَذَا الْحَمْدُ يَسْتَحِقُّهُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ عَلَىٰ نِعَمِهِ إِذَا أَنْعَمَ، وَعَلَىٰ ذَاتِهِ مِنْ غَيْرِ إِنْعَامٍ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (26)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (2)

(الْحَمْدُ للهِ) اللهُ: الْمَعْبُودُ بِحَقٍّ، فَالْمَأْلُوهُ: الْمَعْبُودُ، وَالتَّأَلُّهُ: التَّعَبُّدُ؛ وَالْعِبَادَةُ: الطَّاعَةُ وَالْخُضُوعُ مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالاسْتِسْلَامِ وَالتَّعْظِيمِ؛ فَهُوَ الْمَعْبُودُ مَحَبَّةً وَطَاعَةً وَإِخْلَاصًا وَتَعْظِيمًا. وَالْوَلَهُ: التَّحَيُّرُ؛ فَقَدْ حَارَتْ عُقُولُ الْعُقَلَاءِ فِي جَلَالِ عَظَمَتِهِ، وَتَقَاصَرَتْ عَنْ أَنْ تُحِيطَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهَذَا الاسْمُ الْجَلِيلُ هُوَ الْجَامِعُ لِلْأَسْمَاءِ كُلِّهَا؛ لِذَلِكَ قُدِّمَ عَلَىٰ الْأَسْمَاءِ كُلِّهَا؛ وَافْتُتِحَتْ بِهِ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَاقْتُرِنَ بِالْبَسْمَلَةِ وَالاسْتِعَاذَةِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ وَسَائِرِ الْأَذْكَارِ وَالتَّعَبُّدَاتِ وَالتَّوَسُّلَاتِ.

(27)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2] (3)

(الْحَمْدُ للهِ) أَفَادَ تَعْرِيفُ الْمُبْتَدَأِ، وَدُخُولُ لَامِ الاسْتِحْقَاقِ والاخْتِصَاصِ عَلَىٰ الْخَبَرِ مَعْنَىٰ الْقَصْرِ وَالْحَصْرِ وَالتَّخْصِيصِ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّ الْحَمْدَ لَا يَنْبَغِي إِلَّا للهِ تَعَالَىٰ؛ كَمَا أَنَّ لَامَ (أَل) فِي (الْحَمْدِ) لِاسْتِغْرَاقِ الْجِنْسِ، وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّ جَمِيعَ أَجْنَاسِ الْحَمْدِ ثَابِتَةٌ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَخْصُوصُ بِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْكَمَالِ وَالتَّمَامِ؛ فَهُوَ حَمْدٌ كَامِلٌ بِالاسْتِغْرَاقِ، مَخْصُوصٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ بِالْقَصْرِ؛ وَقَدْ جُعِلَ الْحَمْدُ مَقْصُورًا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ كُلَّ حَمْدٍ هُوَ كَائِنٌ فِي الْوُجُودِ صَادِرٌ عَنِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ وَهُوَ أَهْلُهُ،

فَكُلُّ خَيْرٍ يَحْمَدُ عَلَيْهِ الْحَامِدُونَ إِنَّمَا هُوَ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَمِنْهُ وَإِلَيْهِ، وَأَمَّا مَا يَقَعُ مِنْ حَمْدٍ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حَمْدٌ للهِ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هُوَ مَنْ وَفَّقَهُمْ لِذَلِكَ، وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَجْرَاهُ لَهُمْ؛ فَالْحَمْدُ للهِ تَعَالَىٰ أَصَالَةً، وَلِغَيْرِهِ تَفْرِيعًا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (28)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (4)

افْتُتِحَتِ السُّورَةُ بِصِيغَةِ الْخَبَرِ (الْحَمْدُ للهِ)، وَلَمْ تُفْتَتَحْ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ، كَأَنْ يُقَالَ: (احْمَدُوا اللهَ)؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ يَقْتَضِي التَّكْلِيفَ، وَالتَّكْلِيفُ يَشُقُّ عَلَىٰ النُّفُوسِ عَادَةً، فَسَاقَ لَهُمُ الْخِطَابَ بِصِيغَةِ الْخَبَرِ؛ تَرَفُّقًا بِهِمْ، وَلِيَحْمَدُوهُ تَأَسِّيًا، وَتَطَوُّعًا لَا تَكْلِيفًا وَإِكْرَاهًا؛ وَفَرْقٌ بَيْنَ الَّذِي يُطِيعُ طَوَاعِيَةً وَمُبَادَأَةً، وَبَيْنَ مَنْ يُطِيعُ تَكْلِيفًا وَأَمْرًا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (29)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (5)

اقْتِرَانُ الْحَمْدِ بِالْأُلُوهِيَّةِ الَّتِي هِيَ التَّعَبُّدُ؛ مُشْعِرٌ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نِعْمَةِ تَعَبُّدِنَا لَهُ، وَأَنَّنَا لَا نَعْبُدُ سِوَاهُ، وَاقْتِرَانُهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ؛ مُشْعِرٌ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ، التِي هِيَ تَرْبِيَتُهُ لَنَا، وَتَعَهُّدُهُ أَطْوَارَنَا، وَإِصْلَاحُهُ أَحْوَالَنَا، حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكِلْ ذَلِكَ لِأَحَدٍ سِوَاهُ؛ وَمُشْعِرٌ أَنَّ حَمْدَهُ عَلَىٰ نِعْمَةِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ أَكْمَلُ مِنْ حَمْدِهِ عَلَىٰ نِعْمَةِ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (30)

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة: 2] (6)

(الحَمْدُ للهِ) جاءَ حَمْدُ اللهِ تَعالَىٰ مُوجَزًا مِنْ كَلِمَتَيْنِ (الحَمْدُ للهِ)؛ عَلَىٰ كَثْرَةِ نِعَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي لَا حَدَّ لَهَا، وَلَا عَدَّ، وَلَا إِحْصَاءَ؛ وَفِي هَذَا تَرْبِيَةٌ للمُسْلِمِينَ عَلَىٰ الاقْتِصَادِ والإِيجَازِ عِنْدَ حَمْدِ غَيْرِ اللهِ تَعالَىٰ وَشُكْرِهِ؛ فَلِلْعَبْدِ أَنْ يَحْمَدَ مَنْ يَشَاءُ، وَيَشْكُرَهُ؛ ولَكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَنْضَبِطَ فِي حَمْدِهِ وشُكْرِهِ بِضَابِطَيْنِ: الأَوَّلِ: أَلَّا يَقُولَ فِيهِ إِلَّا حَقًّا، والثَّانِي: أَنْ يُوجِزَ وَيَقْتَصِدَ فِي الحَمْدِ والشُّكْرِ؛ لِئَلَّا يَأْخُذَ المَحْمُودَ نَوْعُ فَخْرٍ وعُجْبٍ؛ وَلَا يَذْهَبَ الحَامِدُ بَعِيدًا فِي التَّبْجِيلِ والتَّمَلُّقِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (31)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (7)

(الحَمْدُ للهِ) فَائِدَةُ الحَمْدِ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الحَامِدِ لَا عَلَىٰ المَحْمُودِ؛ وإِنَّ حَمْدَ اللهِ تَعَالَىٰ وَشُكْرَهُ يَعُودُ عَلَىٰ الحَامِدِ بِنِعْمَتَيْنِ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا، أَمَّا الأُولَىٰ: فَإِنَّ الحَمْدَ والشُّكْرَ قَيْدُ النِّعَمِ؛ فَمَنْ حَمِدَ، وشَكَرَ؛ حُفِظَتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ، والثَّانِيَةُ: أَنَّ الحَمْدَ والشُّكْرَ زِيادَةٌ فِي النِّعْمَةِ؛ فَمَنْ حَمِدَ، وشَكَرَ عَلَىٰ نِعْمَتِهِ؛ زِيدَ لَهُ فِيهَا عَلَىٰ قَدْرِ حَمْدِهِ وَشُكْرِهِ عَظَمَةً وكَثْرَةً؛ وذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ [إبراهيم: 7].

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (32)

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2] (8)

(رَبِّ الْعَالَمِينَ) مَادَّةُ (رَبّ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أُصُولٍ: الْأَوَّلُ: إِصْلَاحُ الشَّيْءِ والقِيَامُ عَلَيْهِ، فالرَّبُّ: الْمَالِكُ، وَالْخَالِقُ، وَالصَّاحِبُ؛ وَيَصْدُقُ كُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ؛ لِأَنَّهُ خَالِقُ الْخَلْقِ، وَمَالِكُهُمْ، وَمُصْلِحُ أَحْوَالِهِمْ، وقَائِمٌ عَلَىٰ تَرْبِيَتِهِمْ وتَدْبِيرِ مَصَالِحِهِمْ؛ وَالْأَصْلُ الثَّانِي: لُزُومُ الشَّيْءِ وَالْإِقَامَةُ عَلَيْهِ، وَاللهُ جَلَّجَلَالُهُ مُقِيمٌ عَلَىٰ أَمْرِ خَلْقِهِ إِقَامَةً مُلَازِمَةً لَهُمْ أَبَدًا بِالتَّرْبِيَةِ الدَّائِمَةِ الْمُتَوَاصِلَةِ، وَقِيَامُهُ وَتَرْبِيَتُهُ مُلَازِمَةٌ لَهُمْ عَلَىٰ الدَّوَامِ مُذْ كَانُوا نُطَفًا إِلَىٰ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، بَلْ مُلَازِمَةٌ لَهُمْ وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ أَبَدًا مَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ؛

وَالْأَصْلُ الثَّالِثُ: ضَمُّ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، وَاللهُ جَلَّ وَعَلَا يُلْحِقُ تَرْبِيَةً بِتَرْبِيَةٍ، وَيَضُمُّ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ عِبَادِهِ إِلَىٰ الَّتِي قَبْلَهَا؛ فَهُوَ يَتَعَهَّدُ عِبَادَهُ وَيَرْعَاهُمْ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ؛ حَتَّىٰ تَكْمُلَ التَّرْبِيَةُ عَلَىٰ أَتَمِّ أَحْوَالِهَا وَأَكْمَلِهَا؛ وَأَلْزَمُ صِفَةٍ لاسمِ اللهِ تَعَالَىٰ صِفَةُ التَّرْبِيَةِ؛ لِذَلِكَ عَقَّبَ بِاسْمِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ اسْمِ اللهِ جَلَّجَلَالُهُ تَعْقِيبًا قَرِيبًا سَرِيعًا مِنْ غَيْرِ عَطْفٍ؛ وَمِنْ كَمَالِ تَرْبِيَتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبَادَهُ أَنَّهُ تَعَبَّدَهُمْ بِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُهُمْ وَفَلَاحُهُمْ فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِهَا؛ فَهِيَ أَلْزَمُ لَهُمْ مِنْ طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَأَنْفَاسِهِمْ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (33)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (9)

(رَبِّ الْعَالَمِينَ) الْعَالَمِينَ: جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَىٰ اللهِ جَلَّجَلَالُهُ، وَهُوَ يَشْمَلُ: الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةَ وَالشَّيَاطِينَ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَلَامَةِ؛ لِأَنَّ الْعَالَمَ عَلَامَةٌ عَلَىٰ وُجُودِ الْخَالِقِ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْعَالَمِينَ أُولُو الْعِلْمِ مِنَ الإِنْسِ وَالجِنِّ وَالمَلَائِكَةِ؛ وَتَرْبِيَةُ اللهِ تَعَالَىٰ لَيْسَتْ مُقْتَصِرَةً عَلَىٰ عَالَمٍ دُونَ عَالَمٍ؛ بَلْ إِنَّهَا تَتَعَدَّىٰ لِجَمِيعِ الْعَوَالِمِ؛ فَلَا يَخْرُجُ عَالَمٌ مِنَ الْعَوَالِمِ عَنْ حُكْمِ تَرْبِيَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، كَمَا لَا يَخْرُجُ عَنْ حُكْمِ خَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ؛ وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ؛ فَالْحَمْدُ للهِ أَنَّ جَمِيعَ الْعَوَالِمِ رَبُّهَا رَبُّنَا؛ فَلَا تَخْرُجُ عَنْ تَرْبِيَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ إِلَّا بِتَدْبِيرِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (34)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (10)

فِي إِضَافَةِ الرُّبُوبِيَّةِ إِلَىٰ الْعَالَمِينَ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مَعْنَىٰ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ الْمُقْتَضِيَةِ قِيَامَهُ عَلَىٰ مَصَالِحِ خَلْقِهِ، وَتَفَرُّدَهُ فِي التَّصَرُّفِ بِشُؤُونِهِمْ: خَلْقًا، وَمَوْتًا، وَرِزْقًا؛ وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الْمُرَبِّي لِجَمِيعِ مَخْلُوقَاتِ الْعَالَمِينَ: فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَفِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، الْمُتَعَهِّدُ بِرِعَايَةِ عَبْدِهِ مِنْ طَوْرٍ إِلَىٰ طَوْرٍ، مِنَ النُّطْفَةِ، إِلَىٰ الْعَلَقَةِ، إِلَىٰ أَنْ يَصِيرَ بَشَرًا سَوِيًّا، ثُمَّ الْمُتَوَلِّي أَمْرَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَفِي قَبْرِهِ، وَفِي آخِرَتِهِ...، وَأَنَّ أَمْرَهُ فِي الْخَلَائِقِ نَافِذٌ، فَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ فِي خَلْقِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا غَالِبَ لِأَمْرِهِ؛ وَهَذَا كُلُّهُ مُسْتَوْجِبٌ أَعْظَمَ الْحَمْدِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (35)

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (11)

أَوْجَبَ الْحَكِيمُ عَلَىٰ عِبَادِهِ ابْتِدَاءَ عِبَادَتِهِ بِحَمْدِهِ مَقْرُونًا بِرُبُوبِيَّتِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَخَتَمَ دُعَاءَهُمْ عِنْدَ إِدْخَالِهِمْ جَنَّتَهُ: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يُونُس: 10]؛ فَبِحَمْدِهِ عَبَدُوهُ، وَبِحَمْدِهِ دَخَلُوا جَنَّتَهُ، وَبِتَرْبِيَتِهِ لَهُمْ حَمِدُوهُ، وَبِتَرْبِيَتِهِ لَهُمْ أَدْخَلَهُمْ جَنَّتَهُ، وَذَلِكَ أَعْظَمُ الْحَمْدِ، وَأَعْظَمُ التَّرْبِيَةِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (36)

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ [الفاتحة: 2] (12)

هِدَايَاتُ الْآيَةِ: حَمْدُ الْعَبْدِ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَىٰ كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَأَخَصُّ مَا يَكُونُ الْحَمْدُ عَلَىٰ ذَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ أَنَّهُ تَسَمَّىٰ بِأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ، وَاتَّصَفَ بِأَكْمَلِ الصِّفَاتِ؛ وَأَنَّهُ أَجْرَىٰ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ فَضْلًا مِنْهُ وَكَرَمًا؛ كَمَا يَحْمَدُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَىٰ جَمِيلِ أَفْعَالِهِ بِهِ؛ وَأَخَصُّهَا نِعْمَةُ عِبَادَتِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَاعَتِهِ لَهُ؛ فَإِنَّهُ مَا عَبَدَ مَنْ عَبَدَ، وَلَا أَطَاعَ مَنْ أَطَاعَ إِلَّا بِاللهِ جَلَّ جَلَالُهُ؛ مُسْتَحْضِرًا مَعْنَىٰ عِنَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِهِ وَرِعَايَتِهِ لَهُ وَلِجَمِيعِ الْعَالَمِينَ، وَهَذَا مُسْتَفَادٌ مِنْ وَصْفِهِ: (رَبِّ الْعَالَمِينَ).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (37)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة: 3] (1)

(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مَادَّةُ (رَحِمَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ التَّعَطُّفِ وَالرَّأْفَةِ، وَاللهُ تَعَالَىٰ: ذُو النِّهَايَةِ فِي الْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ وَالتَّعَطُّفِ عَلَىٰ الْخَلْقِ وَالرَّأْفَةِ بِهِمْ؛ وَزِيَادَةُ الْأَلِفِ وَالنُّونِ فِي الرَّحْمَنِ تَدُلُّ عَلَىٰ الْكَثْرَةِ وَالامْتِلَاءِ، وَوَزْنُ فَعِيلٍ فِي الرَّحِيمِ؛ يَدُلُّ عَلَىٰ الْمُبَالَغَةِ وَالدَّوَامِ مَعَ التَّعْدِيَةِ، فَالرَّحْمَنُ: عَظِيمُ الرَّحْمَةِ فِي ذَاتِهِ، وَالرَّحِيمُ: الْمُتَفَضِّلُ بِهَا عَلَىٰ عِبَادِهِ؛ ثُمَّ إِنَّهُ جَمَعَ لِعِبَادِهِ الاسْمَيْنِ مَعًا عَلَىٰ غَيْرِ الْعَادَةِ فِي تَرْكِيبِ الْأَسْمَاءِ مِنْ اشْتِقَاقٍ وَاحِدٍ؛ لِكَمَالِ عِنَايَتِهِ بِرَحْمَتِهِمْ؛ ثُمَّ إِنَّهُ عَدَّدَ لَهُمُ الرَّحْمَةَ إِلَىٰ مِائَةٍ مِنَ الرَّحَمَاتِ؛ لِعَظِيمِ حَاجَةِ الْعِبَادِ إِلَىٰ الرَّحْمَةِ؛ فَعَنِ

النَّبِيِّ ﷺ: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّىٰ تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا؛ خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[1].

---

(1) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 8/ 8، رقم: (6000)، وَمُسْلِمٌ: 4/ 2108، رقم: (2752).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (38)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: 3] (2)

أَعْقَبَ اللهُ تَعَالَىٰ وَصْفَ نَفْسِهِ: (رَبِّ الْعَالَمِينَ)، بِوَصْفِ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)؛ لِأَنَّ وَصْفَ التَّرْبِيَةِ قَدْ يَقْتَضِي أَحْيَانًا الْقَسْوَةَ عَلَىٰ مَنْ يُرَبَّىٰ؛ ثُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ الْمُرِبِّينَ عَلَىٰ صِفَةِ الرَّحْمَةِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ وَصْفُهُ الرَّحْمَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ وَصَفُهُ الْقَسْوَةُ، فَأَعْقَبَ وَصْفَ التَّرْبِيَةِ، بِوَصْفِ الرَّحْمَةِ؛ لِيُؤَمِّنَهُمْ وَيُؤَانِسَهُمْ؛ وَيَذْهَبَ عَنْهُمُ احْتِمَالُ الْخَوْفِ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغِلْظَةِ؛ فَرُبُوبِيَّتُهُ مَشْمُولَةٌ بِحَظَّيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ: حَظٍّ مَعَ (الرَّحْمَنِ) وَحَظٍّ مَعَ (الرَّحِيمِ)؛ وَفِي ذَلِكَ مَا فِيهِ مِنْ تَهْيِيجِ النُّفُوسِ عَلَىٰ اسْتِخْرَاجِ أَعْظَمِ الْحَمْدِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (39)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة: 3] (3)

(الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) فِي مَجِيءِ وَصْفِ الرَّحْمَةِ بَعْدَ الرُّبُوبِيَّةِ مَعْنًى جَمِيلٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَبِّيَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا بِمَنْ يَقُومُ عَلَىٰ تَرْبِيَتِهِ، فَإِنَّ مَنْ أَخَصِّ خَصَائِصِ التَّرْبِيَةِ الرَّحْمَةَ؛ فَمَنْ كَانَ رَحِيمًا بِمَنْ يُرَبِّي حَمَلَتْهُ رَحْمَتُهُ بِهِ عَلَىٰ أَنْ يَسْلُكَ بِهِ أَسْلَكَ الطُّرُقِ وَأَوْسَعَهَا، وَأَنْ يَخْتَارَ لَهُ أَيْسَرَ الْأَحْكَامِ وَأَرْفَقَهَا، وَلَا يُؤَاخِذَهُ بِكُلِّ زَلَّةٍ، وَأَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَكُونُ مِنْهُ، وإِنْ عَاقَبَهُ فَمُعَاقَبَتُهُ لَهُ جَبْرٌ وَتَقْوِيمٌ، لَا كَسْرٌ وَانْتِقَامٌ، وَأَنْ يُكَافِئَهُ بِأَعْظَمِ جَزَاءٍ عَلَىٰ أَدْنَىٰ مَا يَكُونُ مِنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَهَذَا وَصْفُ رَبِّنَا سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (40)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة: 3] (4)

جَمَعَ الْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ اسْمِي: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إِلَىٰ اسْمِي (اللهُ)، (الرَّبُّ)؛ لِتَكْمِيلِ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فَهُوَ إِلَهٌ رَحْمَنُ رَحِيمٌ؛ وَإِلَهٌ هَذَا وَصْفُهُ؛ لَا يُحَمِّلُهُمْ مِنْ أَمْرِ عِبَادَتِهِ فَوْقَ مَا يُطِيقُونَ، وَهُوَ رَبٌّ رَحْمَنُ رَحِيمٌ؛ وَرَبٌّ هَذَا وَصْفُهُ يُدَبِّرُ أَمْرَ عِبَادِهِ أَحْسَنَ تَدْبِيرٍ؛ فَإِلَهٌ يَرْحَمُ عِبَادَهُ فِي تَكْلِيفَاتِهِ التَّعَبُّدِيَّةِ، وَرَبٌّ يَرْحَمُ عِبَادَهُ فِي تَدْبِيرَاتِهِ الْقَدَرِيَّةِ؛ جَدِيرٌ أَنْ يُعْبَدَ حَقَّ الْعِبَادَةِ.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة: 3] (5)

جَمَعَ الْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ اسْمِي: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إِلَىٰ أَفْعَالِ الْحَمْدِ، وَالْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ؛ إِعْلَامٌ لِلْعِبَادِ أَنَّهُمْ مَا حَمِدُوهُ إِذْ حَمِدُوهُ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ، وَمَا عَبَدُوهُ إِذْ عَبَدُوهُ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ، وَمَا يُرَبِّيهِمْ إِذْ يُرَبِّيهِمْ إِلَّا بِرَحْمَتِهِ؛ فَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (42)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة: 3] (6)

قَدَّمَ سُبْحَانَهُ اسْمِي (الرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ) عَلَىٰ اسْمِ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ تَطْمِينًا لِعِبَادِهِ؛ فَإِنَّهُ أَرْحَمُ مَا يَكُونُ بِهِمْ؛ يَوْمَ يَدِينُونَ لَهُ؛ فَتَشْتَدُّ حَاجَتُهُمْ إِلَىٰ رَحْمَتِهِ، وَتَعْظُمُ رَحْمَتُهُ بِهِمْ؛ وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ للهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: 4/ 2108، رقم: (2752).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (43)

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾ [الفاتحة: 3] (7)

هِدَايَاتُ الْآيَةِ: تَوَسُّلُ الْعَبْدِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ، مُنْتَقِيًا مَعَ كُلِّ عَمَلٍ مَا يُنَاسِبُهُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مُخْتَارًا التَّوَسُّلَ بِاسْمَي (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فِي مَقَامِ الْعِبَادَةِ؛ فَإِنَّ رَحْمَةَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ سَابِغَةٌ شَامِلَةٌ، وَإِنْ أَخَصَّ صُوَرِهَا، وَأَرْجَاهَا فِي مَصَالِحِ الدَّارَيْنِ رَحْمَتُهُ بِهِ الَّتِي أَدْخَلَتْهُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ لَكَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ ﴾ [النُّور: 21]؛ كَمَا يَجْدُرُ اتِّصَافُ العَبْدِ بِصِفَةِ الرَّحْمَةِ فِي سَائِرِ مُعَامَلاتِهِ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ مَا اكْتَسَبَ العِبادُ مِنَ المَحَامِدِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (44)

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: 4] (1)

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) مَادَّةُ (مَلَكَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَصِحَّةٍ، وَالاسْمُ الْمَلِكُ؛ لِأَنَّ يَدَهُ فِي مُلْكِهِ قَوِيَّةُ التَّصَرُّفِ، صَحِيحَةُ التَّدْبِيرِ. وَالْمَالِكُ: مَالِكُ الْعَوَالِمِ كُلِّهَا وَمَلِكُهَا، الْمُتَصَرِّفُ فِيهَا تَصَرُّفًا قَوِيًّا صَحِيحًا كَيْفَ يَشَاءُ، الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ؛ وَلَيْسَ هَذَا عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ وَالْكَمَالِ إِلَّا للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَمَّا مَنْ دُونَهُ مِنَ الْمُلُوكِ؛ فَمُلْكُهُمْ نَاقِصٌ قَاصِرٌ بِقُصُورِ قُوَّتِهِمْ وَتَدْبِيرِهِمْ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (45)

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: 4] (2)

(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) مَادَّةُ (دَيَنَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ الانْقِيَادِ، وَالذُّلِّ وَالطَّاعَةِ، وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَيَوْمُ الدِّينِ تَنْقَادُ فِيهِ الْخَلَائِقُ لِلْمَلِكِ الْخَالِقِ جَلَّجَلَالُهُ، وَتَذِلُّ فِيهِ لِلْمَلِكِ الْعَزِيزِ عَزَّوَجَلَّ، وَتُطِيعُ فِيهِ لِلْقَوِيِّ الْقَادِرِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وَتُقَادُ فِيهِ لِلْحِسَابِ الْعَادِلِ، وَالْجَزَاءِ الْمُنْصِفِ، وَهَذَا الْيَوْمُ لَا يَمْلِكُهُ إِلَّا مَلِكٌ مَالِكٌ عَزِيزٌ قَوِيٌّ قَادِرٌ...؛ وَلَا يَجْتَمِعُ كُلُّ هَذَا إِلَّا لِرَبِّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (46)

﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: 4] (3)

خَصَّ سُبْحَانَهُ الْمُلْكَ بِيَوْمِ الدِّينِ دُونَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ الْغَايَةُ الَّتِي خُلِقَ لَهَا الْخَلْقُ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا لِلدُّنْيَا؛ وَإِنَّمَا خُلِقُوا لِيَوْمِ الدِّينِ، وَلَمْ يُؤْمَرُوا بِالْعَمَلِ لِلدُّنْيَا؛ وَإِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يَعْمَلُوا لِيَوْمِ الدِّينِ؛ فَمَنْ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِيَوْمِ الدِّينِ؛ كَفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ شُرُورَ يَوْمَيِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (47)

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: 4] (4)

قَرَنَ اللهُ تَعَالَىٰ مُلْكَهُ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَأَهْمَلَ يَوْمَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا دَنِيَّةٌ، وَالْآخِرِيَّةُ عَلِيَّةٌ؛ وَاللهُ تَعَالَىٰ مَلِكٌ عَلِيٌّ؛ فَهُوَ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقْتَرِنَ اسْمُهُ بِوَصْفِ الدَّنِيَّةِ، وَالدُّنْيَا بِدُنُوِّهَا أَقَلُّ مِنْ أَنْ تَقْتَرِنَ بِاسْمِهِ الْعَلِيِّ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (48)

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: 4] (5)

فِي إِيرَادِ أَوْصَافِ (الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمُلْكِ) الَّتِي أُجْرِيَتْ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي الْفَاتِحَةِ، بَعْدَ ذِكْرِ اخْتِصَاصِهِ بِالْحَمْدِ بِهِ فِي قَوْلِهِ: (الْحَمْدُ للهِ)؛ أَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْحَمْدِ عَلَىٰ كُلِّ هَذِهِ الْأَوْصَافِ؛ وَأَنَّ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ أَوْصَافُهُ؛ فَلَا أَحَدَ أَحَقُّ مِنْهُ بِاخْتِصَاصِ الْحَمْدِ الْكَامِلِ الْجَمِيلِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (49)

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: 4] (6)

فِي تَقْرِيرِ الْإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ نَوْعُ تَرْبِيَةٍ عَلَىٰ مَعَانِي الْإِيمَانِ: فَإِنَّ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ للهِ تَعَالَىٰ يَوْمًا؛ يُثِيبُ فِيهِ الْمُحْسِنَ، وَيُعَاقِبُ فِيهِ الْمُسِيءَ؛ فَسَيَثْبُتُ فِي قَلْبِهِ مَرْتَبَةُ الْمُرَاقَبَةِ وَالْإِحْسَانِ؛ فَيَعْبُدُ اللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ حَالِ الرَّقَابَةِ الْمُفْضِيَةِ إِلَىٰ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَسَيَسْتَقِيمُ بِذَلِكَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الَّذِي أَرَادَهُ لَهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (50)

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: 4] (7)

جَاءَ وَصْفُ الْمَلِكِ فِي الْفَاتِحَةِ فِي قِرَاءَةٍ بِوَصْفِ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وَفِي أُخْرَى بِوَصْفِ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ لِبَيَانِ كَمَالِ مُلْكِهِ فِي مَمَالِكِهِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَلِكٍ فِي مَمْلَكَةٍ مَالِكًا لِرِقَابِ سُكَّانِ مَمْلَكَتِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ لِشَيٍّ مِنَ الْأَشْيَاءِ يَكُونُ مَلِكًا مُتَوَّجًا؛ وَلَكِنَّ رَبَّنَا الْمَلِكُ سُبْحَانَهُ، (مَلِكٌ مَالِكٌ)، وَ(مَالِكٌ مَلِكٌ)؛ فَنَاسَبَ أَنْ يَجْتَمِعَ الاسْمَانِ فِي الْقِرَاءَتَيْنِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (51)

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: 4] (8)

(مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ) إِذَا اسْتَقَرَّ فِي حِسِّ الْعَبْدِ وَاعْتِقَادِهِ أَنَّ الْمُلْكَ يَوْمَ الدِّينِ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، وَأَنَّ مُلُوكَ الدُّنْيَا لَيْسَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُلْكِ مِنْ نَصِيبٍ، بَلْ إِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ مَمَالِيكُ مَقْهُورُونَ، فَإِنَّ هَذَا الاعْتِقَادَ يَتْرُكُ فِي حِسِّهِ مِنَ الرَّاحَةِ وَالاطْمِئْنَانِ وَالْأَمَانِ مَا لَا يُوصَفُ، فَإِنَّ اللهَ الْمَلِكَ هُوَ مَنْ يُحَاسِبُ وَيُثِيبُ؛ وَإِنَّمَا يُحَاسِبُ بِصِفَاتِ: الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْعَفْوِ وَالرَّحْمَةِ...؛ فَأَيُّ أَثَرٍ يَتْرُكُ هَذَا فِي الْقُلُوبِ وَأَيُّ اطْمِئْنَانٍ؟!

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (52)

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: 4] (9)

لَمَّا كَانَتِ الْفَاتِحَةُ أُمَّ الْقُرْآنِ جَامِعَةً لِتَفْصِيلِ أَحْكَامِهِ وَأَخْبَارِهِ، وَسَائِرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ تَفْصِيلٌ لِمُجْمَلِ الْفَاتِحَةِ؛ جَمَعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِيهَا أَسْمَاءَهُ الْجَامِعَةَ لِجَمِيعِ مَعَانِي أَسْمَائِهِ: (اللهِ، وَالرَّبِّ، وَالرَّحْمَنِ، وَالرَّحِيمِ، وَالْمَلِكِ)؛ وَسَائِرُ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ تَفْصِيلٌ لِمَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْجَامِعَةِ مِنْ مَعَانٍ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (53)

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: 4] (10)

افْتَتَحَ اللهُ تَعَالَىٰ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَافْتَتَحَ الْفَاتِحَةَ بِالتَّعْرِيفِ بِاللهِ تَعَالَىٰ بِأَجْمَعِ أَسْمَائِهِ: (اللهِ، وَالرَّبِّ، وَالرَّحْمَنِ، وَالرَّحِيمِ، وَالْمَلِكِ)، وَجَعَلَهَا فَرْضَ الْعِبَادَةِ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ فَهْمِ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَمَنْ عَرَفَ اللهَ تَعَالَىٰ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ؛ هَانَتْ عَلَيْهِ الْعِبَادَةُ، وَتَيَسَّرَ لَهُ فَهْمُ كَلَامِهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (54)

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ [الفاتحة: 4] (11)

هِدَايَاتُ الْآيَةِ: تَوَسُّلُ الْعَبْدِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِاسْمَي (الْمَالِكِ وَالْمَلْكِ)؛ مُسْتَحْضِرًا مَعْنَىٰ أَنَّهُ أَحَدُ مَمَالِيكِهِ فِي الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهُ مَمْلُوكٌ لِرَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ مُلْكًا تَامًّا كَامِلًا، فَأَمْرُهُ كُلُّهُ بِيَدِ مَالِكِهِ، يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَيْسَ لِلْعَبْدِ إِلَىٰ طَاعَةِ الْمَلِكِ دُونَمَا تَرَدُّدٍ أَوْ تَأَخُّرٍ؛ وَأَنَّهُ أَخَصُّ مَا يَظْهَرُ كَمَالُ مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي مَمَالِكِهِ وَمَمَالِيكِهِ يَوْمَ الدِّينِ، وَأَنَّهُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَىٰ مَالِكِهِ يَوْمَ الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ الْيَوْمُ الْعَبُوسُ الْقَمْطَرِيرُ، ذُو الشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِ؛ لَوْلَا رَحْمَةُ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (55)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (1)

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ) مَادَّةُ (عَبَدَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَصْلَيْنِ صَحِيحَيْنِ: الْأَوَّلُ: لِينٌ وَذُلٌّ، وَالثَّانِي: قُوَّةٌ وَصَلَابَةٌ؛ وَالْعُبُودِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ فِيهَا قُوَّةُ التَّذَلُّلِ، وَصَلَابَةُ التَّعَبُّدِ، وَفِيهَا اللِّينُ للهِ تَعَالَىٰ بِالانْقِيَادِ الْكَامِلِ لِكُلِّ أَمْرٍ وَنَهْيٍ؛ فَالْعِبَادَةُ أَقْصَىٰ غَايَةِ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ فِي كَمَالِ طَاعَةٍ وَمَحَبَّةٍ؛ وَخُضُوعٌ هَذَا وَصْفُهُ لَا يَنْبَغِي إِلَّا للهِ تَعَالَىٰ؛ لِذَلِكَ لَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ الْحَقَّةُ إِلَّا للهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنَّمَا اسْتَحَقَّ اللهُ تَعَالَىٰ أَقْصَىٰ غَايَاتِ الْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ وَالتَّعَبُّدِ؛ لِأَنَّهُ أَوْلَىٰ الْإِنْسَانَ بِأَقْصَىٰ غَايَاتِ النِّعَمِ، الَّتِي لَا تُدْرَكُ إِلَّا بِهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (56)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (2)

(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) مَادَّةُ (عَوَنَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ النُّصْرَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ وَالْمُظَاهَرَةِ عَلَىٰ الْأَمْرِ، وَالْهَمْزَةُ وَالسِّينُ وَالتَّاءُ؛ تَدُلُّ عَلَىٰ الطَّلَبِ؛ فَفِيهَا مَعْنَىٰ طَلَبِ الْمُسَاعَدَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وإِزَالَةُ الْعَجْزِ وَالْمُسَاعَدَةُ عَلَىٰ إِتْمَامِ الْعَمَلِ الَّذِي يَعْجِزُ عَنِ الاسْتِقْلَالِ بِهِ بِنَفْسِهِ، وَلِأَنَّ فِي الْعِبَادَةِ كُرْهٌ لِلنَّفْسِ، وَمُخَالَفَةٌ لِهَوَاهَا، وَإِغَاظَةٌ لِلشَّيْطَانِ، وَإِرْغَامٌ لَهُ؛ احْتَاجَ الْعَبْدُ لِإِحْرَازِ عِبَادَتِهِ إِلَىٰ النُّصْرَةِ وَالْمُظَاهَرَةِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَعَلَىٰ شَيْطَانِهِ؛ لِيَخْلُصَ مِنْهُمَا، وَيَنْتَصِرَ عَلَيْهِمَا، وَتَسْلَمَ لَهُ عِبَادَتُهُ خَالِصَةً صَحِيحَةً؛ وَلَا يَكُونُ كُلُّ ذَلِكَ إِلَّا بِإِعَانَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (57)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (3)

قَدَّمَ الْحَكِيمُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِبَادَةَ عَلَىٰ الاسْتِعَانَةِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَالاسْتِعَانَةُ مُتَقَدِّمَةٌ زَمَانًا عَلَىٰ الْعِبَادَةِ، فَالْعَبْدُ يَسْتَعِينُ بِاللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ الْغَايَاتِ عَلَىٰ الْأَسْبَابِ؛ فَالاسْتِعَانَةُ سَبَبٌ، وَالْعِبَادَةُ غَايَةٌ، فَالاسْتِعَانَةُ لَا تُرَادُ لِذَاتِهَا، وَإِنَّمَا تُرَادُ لِلْعِبَادَةِ؛ وَالْعِبَادَةُ إِنَّمَا تُرَادُ لِذَاتِهَا؛ وفِيهَا مِنْ جَانِبٍ آخَرَ تَقْدِيمٌ للمَعْبُودِ، وَهُوَ كَلِمَةُ: (إِيَّاكَ) عَلَىٰ العِبَادَةِ، وَهُوَ كَلِمَةُ: (نَعْبُدُ)؛ فالوُصُولُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ الغَايَةُ، وفِي شِعَارِ المُسْلِمِينَ: (اللهُ غَايَتُنَا). والعِبَادَةُ وَسِيلَةٌ للوُصُولِ

إِلَىٰ الْمَعْبُودِ جَلَّجَلَالُهُ، كَمَا أَنَّ الاسْتِعَانَةَ ثَمَرَةٌ للعِبَادَةِ مِنْ جَانِبْ آخَرَ، والشَّجَرَةُ مُقَدَّمَةٌ عَلَىٰ الثَّمَرَةِ؛ وبذا تَكُونُ الْعِبَادَةُ سَبَبًا لِلْمَعُونَةِ مِنْ وَجْهٍ، وَتَكُونُ الْمَعُونَةُ سَبَبًا لِلْعِبَادَةِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ.

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: 5] (4)

قَدَّمَ الْحَكِيمُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ فِي الْآيَةِ، وَهُوَ ضَمِيرُ النَّصْبِ (إِيَّاكَ) عَلَىٰ فِعْلِهِ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، مِنْ بَابِ الْقَصْرِ الَّذِي يُفِيدُ التَّخْصِيصَ، وَالْمَعْنَىٰ: لَا نَعْبُدُ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا نَسْتَعِينُ إِلَّا بِكَ، وَهَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ الصَّادِقُ، وَإِخْلَاصُ الدِّينِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (59)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (5)

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَىٰ شَرْطِي قَبُولَ أَيِّ عَمَلٍ، وَهِيَ الصِّحَّةُ وَالْإِخْلَاصُ؛ فَفِي (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) تَقْرِيرٌ لِشَرْطِ الإِخْلَاصِ؛ يُؤْخَذُ هَذَا مِنْ مَفْهُومِ قَصْرِ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ أَنَّ الْعِبَادَةَ بِكُلِّ صُوَرِهَا لَا تَنْبَغِي إِلَّا للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ؛ وَفِي (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) تَقْرِيرٌ لِشَرْطِ الصِّحَّةِ؛ يُؤْخَذُ هَذَا مِنْ مَفْهُومِ قَصْرِ الاسْتِعَانَةِ؛ فَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ الاسْتِعَانَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِاللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يُعِينُ إِلَّا عَلَىٰ صَوَابٍ، فَإِنَّ مَا يَأْتِي مِنْ جِهَتِهِ هُوَ الصَّوَابُ الْمَحْضُ، وَمَا خَالَفَهُ هُوَ الْبَاطِلُ الْمَحْضُ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (6)

(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) جاءَ لَفْظُ الْعِبَادَةِ وَالاسْتِعَانَةِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ (نَعْبُدُ)، (نَسْتَعِينُ)؛ مَعَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ وَاحِدٌ؛ لِبَيَانِ شَرَفِ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ؛ فَإِنَّ الْفَاتِحَةَ سُورَةُ الصَّلَاةِ؛ فَكَأَنَّ الْمَعْنَى نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِاجْتِمَاعِنَا عَلَى طَاعَتِكَ، وَبِاسْتِعَانَتِنَا جَمِيعًا بِكَ؛ وَفِي هَذَا مِنَ التَّلَطُّفِ فِي التَّوَسُّلِ مَا فِيهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (61)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (7)

جَمَعَ اللهُ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ فِي الْفَاتِحَةِ قُوَّةَ الاسْتِعَانَةِ، وَشَرَفَ الْعِبَادَةِ؛ فَمَنْ تَحَقَّقَتْ لَهُ الاسْتِعَانَةُ الصَّحِيحَةُ الْخَالِصَةُ؛ تَحَقَّقَتْ لَهُ الْقُوَّةُ الْمُعِينَةُ عَلَىٰ الْعِبَادَةِ الصَّحِيحَةِ الْخَالِصَةِ؛ وَمَنْ تَحَقَّقَتْ لَهُ الْعِبَادَةُ الصَّحِيحَةُ الْخَالِصَةُ؛ تَحَقَّقَ لَهُ الشَّرَفُ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ؛ فَلَا أَقْوَىٰ مِمَّنْ أَعَانَهُ الْقَوِيُّ سُبْحَانَهُ، وَلَا أَشْرَفَ مِمَّنْ انْتَسَبَ إِلَىٰ عُبُودِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ النَّسَبُ الْعَرِيقُ الْأَعْلَىٰ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (62)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (8)

حُذِفَ مُتَعَلِّقُ نَسْتَعِينُ؛ فَلَمْ يُذْكَرِ الْمُسْتَعَانُ عَلَيْهِ؛ لِيَتَّسِعَ مَدْلُولُ طَلَبِ الاسْتِعَانَةِ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ حَاجَاتُ الْعَبْدِ الَّتِي لَا بُدَّ له فِيهَا مِنَ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ جَلَّجَلَالُهُ؛ لَمْ تَنْحَصِرِ الاسْتِعَانَةُ بِأَمْرٍ مُعَيَّنٍ؛ لِيَدْخُلَ فِيهَا كُلُّ حَاجَاتِ الْعَبْدِ، وَلَمَّا كَثُرَتِ الحَاجَاتُ؛ اقْتَضَىٰ ذَلِكَ كَثْرَةَ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهَا، وَثُنِّيَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَصَلَاةً بَعْدَ صَلَاةٍ؛ فِي السَّبْعِ الْمَثَانِي.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (63)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (9)

كَثُرَتْ حَاجَاتُ الْعَبْدِ الَّتِي لَا تَنْقَضِي إِلَّا بِالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَىٰ؛ وَإِنَّهُ مَا قُضِيَتْ حَاجَةٌ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِلَّا وَاللهُ تَعَالَىٰ قَاضِيهَا بِالْأَصَالَةِ؛ وَلَمَّا كَانَتْ حَاجَةُ الْعَبْدِ لِصَلَاحِ عِبَادَتِهِ أَهَمَّ الْحَاجَاتِ؛ انْعَطَفَتِ الاسْتِعَانَةُ بِاللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ؛ فَإِنَّهُ مَا اسْتَعَانَ مُسْتَعِينَ بِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهِ عَلَىٰ عِبَادَتِهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (64)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (10)

مَنْ فَقِهَ عَنْ رَبِّهِ جَلَّجَلَالُهُ مُرَادَهُ؛ فَإِنَّهُ يَجْمَعُ هَمَّهُ عَلَىٰ حَاجَتِهِ الَّتِي أَهَمَّتْهُ عِنْدَ تِلَاوَةِ لَفْظِ الاسْتِعَانَةِ: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾؛ فَإِنَّهُ يُرْجَىٰ لِمَنْ جَمَعَ هَمَّهُ عِنْدَ طَلَبِ الاسْتِعَانَةِ عَلَىٰ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الَّتِي فِيهَا صَلَاحُ مَعَاشِهِ، أَوِ الْآخِرَةِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُ مَعَادِهِ؛ وَكَثُرَ إِلْحَاحُهُ عَلَيْهَا؛ أَنْ يُعِينَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَمْرِهِ ذَلِكَ؛ وَأَنْ يَقْضِيَ لَهُ حَاجَتَهُ مَهْمَا عَظُمَتْ أَكْمَلَ الْقَضَاءِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَنْ يَقْضِيَهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (65)

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: 5] (11)

مَا اسْتَعَانَ مُسْتَعِينٌ بِمُسْتَعَانٍ بِهِ مِثْلَ أَنْ يَسْتَعِينَ عَبْدٌ ضَعِيفٌ، بِرَبٍّ قَوِيٍّ، وَعَبْدٌ عَاجِزٌ، بِرَبٍّ قَادِرٍ، وَعَبْدٌ فَقِيرٌ، بِرَبٍّ غَنِيٍّ، وَعَبْدٌ ذَلِيلٌ، بِرَبٍّ عَزِيزٍ، وَعَبْدٌ مُحْتَاجٌ، بِرَبٍّ مُسْتَغْنٍ...، وَقَدْ جَمَعَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كُلَّ ذَلِكَ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (66)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (12)

(إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فِيهَا إِظْهَارٌ لِلافْتِقَارِ وَالْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَأَنَّهُ لَا حَوْلَ لِلْعَبْدِ وَلَا قُوَّةَ، وَأَنَّ الْحَوْلَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَعُونَةَ للهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ؛ وَإِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ فَقْرُ الْعَبْدِ أَعْظَمَ، وَحَاجَتُهُ أَكْثَرَ؛ كَانَ عَطَاءُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ لَهُ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ؛ فَلَيْسَ أَسْرَعُ لِاسْتِجْلَابِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَقَضَاءِ الْحَاجَاتِ مِنْ إِظْهَارِ الْفَقْرِ وَالْمَسْكَنَةِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ وَعَلَىٰ جَمِيعِ الْحَاجَاتِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (67)

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: 5] (13)

قَسَمَ اللهُ تَعالَىٰ الْفَاتِحَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ تَنْتَصِفُهَا؛ فَنِصْفُهُ الْأَوَّلُ للهِ تَعَالَىٰ: تَعْظِيمٌ للهِ تَعَالَىٰ بِحَمْدِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَتَمْجِيدِهِ، وَالتَّفْوِيضُ إِلَيْهِ: مِنْ أَوَّلِهَا إِلَىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾، وَنِصْفُهَا الثَّانِي لِلْعَبْدِ: اسْتِعَانَاتٌ وَسُؤَالَاتٌ وَطَلَبَاتٌ، مِنْ: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ إِلَىٰ آخِرِهَا؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ...»[1].

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: 1/ 296، رقم: (395).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (68)

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (14)

جَمَعَتِ الْفَاتِحَةُ أَجَلَّ التَّوَسُّلاتِ؛ لِأَجَلِّ الطَّلَبَاتِ؛ فَفِي نِصْفِهَا الْأَوَّلِ تَوَسُّلٌ بِالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَبِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَأَجَلُّهَا التَّعَبُّدُ بِالصَّلَاةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ وَفِي نِصْفِهَا الثَّانِي الاسْتِعَانَةُ بِتَوَسُّلَاتِهِ عَلَىٰ أَجَلِّ مَطْلُوبَاتِهِ الْهِدَايَةِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَصَرْفِهِ عَنْ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَطَرِيقِ الضَّالِّينَ؛ فَلَا تَوَسُّلَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا مَطْلُوبَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (69)

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5] (15)

هِدَايَاتُ الآيَةِ: تَوْحِيدُ الْعَبْدِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِعِبَادَتِهِ؛ فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا هُوَ طَاعَةً وَمَحَبَّةً فِي خُضُوعٍ وَتَذَلُّلٍ، وَتَوْحِيدُهُ فِي الاسْتِعَانَةِ بِهِ؛ فَلَا يَسْتَعِينُ إِلَّا بِهِ؛ اعْتِصَامًا وَالْتِجَاءً فِي مَسْكَنَةٍ وَافْتِقَارٍ؛ فَإِنَّهُ مَا أُدْرِكَتْ عِبَادَةُ اللهِ تَعَالَىٰ بِمِثْلِ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ، وَمَا اسْتُعِينَ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ مِثْلِ عِبَادَتِهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (70)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6] (1)

فِي تَأَخُّرِ مَسْأَلَةِ الْهِدَايَةِ، وَتَقَدُّمِ حَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِأَعْظَمِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْإِقْرَارِ إِلَيْهِ بِعِبَادَتِهِ وَالاسْتِعَانَةِ بِهِ؛ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَرْفَعُ صُوَرِ الْأَدَبِ فِي التَّوَسُّلِ بَيْنَ يَدَيِ الدُّعَاءِ وَأَلْطَفِهِ؛ فَإِنَّ الْمَسْؤُولَ إِذَا عَلِمَ مَحَبَّةَ السَّائِلِ لَهُ، وَامْتِدَاحَهُ لَهُ، وَثَنَاءَهُ عَلَيْهِ؛ يَسْتَحْيِي أَنْ يَرُدَّهُ؛ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ هَذَا الْمَسْؤُولُ الْحَيِيَّ الْكَرِيمَ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وَكَانَ السَّائِلُ هَذَا الْعَبْدَ الْمُصَلِّي الْحَامِدَ الْمُطِيعَ الْمُتَوَسِّلَ؟!

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (71)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6] (2)

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ) مَادَّةُ (هُدَىٰ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ الإِرْشَادِ وَالدِّلَالَةِ إِلَىٰ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ؛ وَمُجَانَبَةِ طَرِيقِ الشَّرِّ وَالضَّلَالِ؛ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَقَّقَ الْعِبَادَةُ وَالاسْتِعَانَةُ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِهِدَايَةٍ صَحِيحَةٍ قَوِيمَةٍ، وَنَأْيٍ بِهِ عَنْ طُرُقِ الْغَضَبِ وَالضَّلَالِ؛ وَلَا يَكُونُ كُلُّ هَذَا إِلَّا مِنْ هَادٍ عَلِيمٍ رَحِيمٍ، وَذَلِكَ هُوَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (72)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6] (3)

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ) مَادَّةُ (صَرَطَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وَأَصْلُ الصَّادِ سِينًا، مِنْ (سَرَطِ)، الدَّالَّةِ عَلَىٰ غَيْبَةٍ فِي مَرٍّ وَذَهَابٍ، وَهَذَا الصِّرَاطُ كَثُرَ الْمُرُورُ فِيهِ، بَلْ دَامَ الْمُرُورُ فِيهِ بِلَا تَوَقُّفٍ وَلَوْ لِلَحْظَةٍ، وَكَثُرَ الْإِيغَالُ فِيهِ بِحَيْثُ لَا يُرَىٰ مَنْ فِيهِ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُرَىٰ الطَّرِيقُ نَفْسُهُ، وَهَذَا يَكُونُ فِي الْحَقِّ وَفِي الْبَاطِلِ؛ فَأَمَّا الْمُوغِلُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ؛ فَيَغِيبُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ اسْمِهِ؛ وَيُوصَفُ بِالْحَقِّ الَّذِي سَلَكَهُ، وَكَذَلِكَ الْمُوغِلُ فِي الْبَاطِلِ؛ فَيَغِيبُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ اسْمِهِ؛ وَيُوصَفُ بِالْبَاطِلِ الَّذِي سَلَكَهُ؛ فَتَجِدُ مَنْ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ وَمُحَمَّدٌ، فَإِذَا سَلَكَ طَرِيقَ الْبَاطِلِ؛ يَغِيبُ مَعْنَىٰ الاسْمِ الْحَسَنِ عَنْهُ؛ وَيَبْقَىٰ وَصْفُ طَرِيقِ السُّوءِ الَّذِي سَلَكَهُ مُلَازِمًا لَهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (73)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6] (4)

(الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) مَادَّةُ (قَوَمَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ انْتِصَابٍ فِي اعْتِدَالٍ وَعَزِيمَةٍ؛ وَهَذَا الطَّرِيقُ الْمَطْلُوبُ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ أَنْ يَسْلُكُوهُ طَرِيقٌ مَنْصُوبٌ أَبَدًا، لَا تَغَيُّرَ فِيهِ، وَلَا زَوَالَ، وَلَا تَحْوِيلَ، مُعْتَدِلٌ أَبَدًا، لَا الْتِوَاءَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ، وَلَا خَفَاءَ، ذُو عَزْمٍ وَقُوَّةٍ؛ لَا ضَعْفَ فِيهِ وَلَا ضَعَةَ وَلَا هَوَانَ؛ وَجِيءَ فِي اشْتِقَاقِهِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ؛ دِلَالَةً عَلَىٰ أَنَّهُ قَائِمٌ بِذَاتِهِ أَبَدًا؛ فَلَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ مَنْ يُقِيمُهُ؛ فَطَرِيقُ الْحَقِّ حَقٌّ فِي ذَاتِهِ؛ أَمَّا طَرِيقُ الْبَاطِلِ؛ فَبَطَلَ بِإِبْطَالِ الْخَلْقِ لَهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (74)

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: 6] (5)

حَاجَاتُ الْإِنْسَانِ لَا تَنْفَكُّ عَنْ أَنْ تَكُونَ إِمَّا دُنْيَوِيَّةً وَإِمَّا أُخْرَوِيَّةً؛ ذَكَرَتِ الْآيَةُ الحَاجَةَ الأُخْرَوِيَّةَ وَهِيَ طَلَبُ الْهِدَايَةِ، وَلَمْ تَذْكُرِ الدُّنْيَوِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ كُلُّ شَيْءٍ، وَالدُّنْيَا لَا شَيْءَ، فَالدُّنْيَا أَقَلُّ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ فِي مُهِمَّاتِ الطَّلَبَاتِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَا يُرَادُ مِنَ الدُّنْيَا إِنَّمَا يُرَادُ لِلآخِرَةِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (75)

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [الفاتحة: 6] (6)

الْهِدَايَاتُ إِلَىٰ الاسْتِقَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْأُولَى الْهِدَايَةُ قَبْلَ الْعَمَلِ؛ لِلتَّوْفِيقِ لَهُ، وَالثَّانِيَةُ أَثْنَاءَ الْعَمَلِ؛ لِلتَّوْفِيقِ لِإِتْمَامِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْأَخْلَصِ وَالْأَصْوَبِ، وَالثَّالِثَةُ بَعْدَ الْعَمَلِ؛ لِلتَّوْفِيقِ بِحِفْظِهِ مِنْ أَنْ يَطْرَأَ عَلَيْهِ مَا يُحِيلُهُ مِنَ الْإِخْلَاصِ إِلَىٰ الْمُرَاءَاةِ؛ فَقَدْ يُخْفِي الْعَبْدُ عَمَلَهُ الزَّمَانَ الطَّوِيلَ؛ ثُمَّ تَتَهَيَّجُ نَفْسُهُ عَلَىٰ إِظْهَارِهِ؛ فَيَنْتَقِلُ مِنْ دِيوَانِ السِّرِّ إِلَىٰ دِيوَانِ الْعَلَنِ؛ فَتَهْبِطُ رُتْبَتُهُ، وَرُبَّمَا مِنْ دِيوَانِ الْإِخْلَاصِ إِلَىٰ دِيوَانِ الرِّيَاءِ؛ فَيَخِيبُ سَعْيُهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (76)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6] (7)

تَعَدَّدَتْ أَقْوَالُ أَئِمَّةِ التَّفْسِيرِ فِي الْمُرَادِ بِالصِّرَاطِ؛ فَقَالَتْ طَائِفَةٌ هُوَ كِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَالَتْ أُخْرَىٰ هُوَ الإِسْلَامُ، وَقَالَتْ ثَالِثَةٌ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَكَلَامُهُمْ جَمِيعًا حَقٌّ؛ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ فَكِتَابُ اللهِ تَعَالَىٰ هُوَ الشَّارِعُ الْأَعْظَمُ، وَشَرَائِعُ الْإِسْلَامِ بُنَيَّاتُهُ وَفُرُوعُهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَكُلُّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ مَا دَعَوْا إِلَيْهِ عَلَىٰ سَنَنِهِمْ أَدِلَّاءُ الطُّرُقِ وَالشَّرَائِعِ؛ وَلَوْلَا الْأَدِلَّاءُ؛ لَتَاهُ الْغُرَبَاءُ، وَلَأَبْعَدُوا النَّجْعَةَ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (77)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6] (8)

الصِّرَاطُ الَّذِي يُرَادُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ صِرَاطَانِ: صِرَاطٌ فِي الدُّنْيَا بِالاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَصِرَاطٌ فِي الْقِيَامَةِ بِجَوَازِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَمَنْ هُدِيَ هُنَا إِلَىٰ صِرَاطِ الدِّينِ الْقَوِيمِ؛ هُدِيَ هُنَالِكَ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَنْ لَمْ يُوَفَّقْ لِلْهِدَايَةِ هُنَا؛ لَمْ يُوَفَّقْ لِلْهِدَايَةِ هُنَالِكَ؛ فَلَا يَكُنْ هَمُّكَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ؛ وَلْيَكُنْ أَكْبَرُ هَمِّكَ صِرَاطَ الدِّينِ الْقَوِيمِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (78)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6] (9)

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ) الْهِدَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ لِلْعَبْدِ فِي كُلِّ سَيْرٍ هِدَايَتَانِ: هِدَايَةٌ إِلَىٰ الصِّرَاطِ، وَتَتَضَمَّنُ مَعْنَىٰ بُلُوغِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ ابْتِدَاءً؛ وَعَدَمِ التِّيهِ عَنْهُ، وَهِدَايَةٌ فِي الصِّرَاطِ، وَتَتَضَمَّنُ مَعْنَىٰ السَّيْرِ الصَّحِيحِ فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ إِلَىٰ مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمَنَازِلِ السَّالِكِينَ، وَعَدَمَ الزَّيْغِ فِيهِ انْتِهَاءً، فَكَمْ مَنْ سَالِكٍ طَرِيقًا صَحِيحًا، وَهُوَ يَسِيرُ سَيْرًا غَيْرَ صَحِيحٍ؟! لِذَلِكَ عُدِّيَ الْفِعْلُ (اهْدِنَا) بِذَاتِهِ مِنْ غَيْرِ (إِلَىٰ) وَلَا (فِي)؛ لِيَشْمَلَهُمَا جَمِيعًا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (79)

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6] (10)

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ) الهِدَايَةُ مِنَ اللهِ تَعالَىٰ لِعِبَادِهِ هِدَايَتَانِ: الأُولَىٰ هِدَايَةُ دِلَالةٍ، والثَّانِيَةُ هِدَايَةُ تَوْفِيقٍ؛ أَمَّا الهِدَايَةُ الأُولَىٰ فَهِيَ عَامَّةٌ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ الدِّينُ مِنَ النَّاسِ؛ فَلَقَدْ بَلَغتْ هَذِهِ الهِدَايَةُ أَبَا جَهْلٍ كَمَا بَلَغَتْ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَمَّا الهِدَايَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ خَاصَّةٌ لِمَنْ قَبِلَ الهِدَايَةَ الأُولَىٰ؛ فَلَمَّا قَبِلَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والمُسْلِمُونَ؛ كُوفِئُوا بِهِدَايَةِ التَّوْفِيقِ؛ وَلَمَّا لَمْ يَقْبَلْهَا أَبُو جَهْلٍ والكَافِرُونَ؛ حُرِمُوا هِدَايَةَ التَّوْفِيقِ؛ وذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالذِينَ اهْتَدَوا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: 17]؛ فاللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَوَفِّقْنَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (80)

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ [الفاتحة: 6] (11)

الْهِدَايَةُ أَصْلٌ وَكَمَالٌ؛ فَأَمَّا أَصْلُ الْهِدَايَةِ فَيَدْخُلُ فِيهَا كُلُّ مَنْ دَخَلَ فِي الدَّيْنِ، وَأَمَّا كَمَالُهَا؛ فَلَا يُصِيبُهَا إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْهِدَايَةِ لِتَفَاصِيلِ الدِّينِ عِلْمًا وَعَمَلًا؛ وَإِنَّمَا يُطْلَبُ بِقَوْلِهِ ﴿ اهْدِنَا ﴾ كَمَالُ الْهِدَايَةِ وَالثَّبَاتُ عَلَيْهَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (81)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6] (12)

الْهِدَايَةُ تَزْدَادُ وَتَنْقُصُ كَمَا الْإِيمَانُ، وَكَمَالُ الْهِدَايَةِ لَا يَبْلُغُهَا إِلَّا أَكْمَلُ النَّاسِ، وَذَلِكَ الرَّسُولُ ﷺ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَزْدَادُ هِدَايَةً بِقَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ؛ كُلَّمَا قَرَأَهَا وَرَدَّدَهَا؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ مِنْ كُمَّلِ الْعِبَادِ، وَالْمُعَوَّلُ فِي ذَلِكَ عَلَىٰ صِدْقِ الطَّلَبِ، وَكَثْرَةِ الْإِلْحَاحِ بِهَا فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِهَا؛ وَلِهَذَا كَانَتْ وَصِيَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِمَنْ سَأَلَهُ مُرَافَقَتَهُ فِي الْجَنَّةِ: «أَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(1).

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: 1/ 353، رقم: (489).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (82)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6] (13)

مَنْ هُدِيَ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ كُوفِئَ بِهِدَايَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ: الْأُولَىٰ: هُدِيَ فِي قَبْرِهِ لِلْإِجَابَةِ عَلَىٰ أَسْئِلَةِ فَتَّانَيِ الْقَبْرِ، شَدِيدَيِ الانْتِهَارِ، وَالثَّانِيَةِ: هُدِيَ فِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ سُرْعَةِ جَوَازِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُدِيَ فِي الْجَنَّةِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَىٰ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[1].

(1) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 8/ 111، رقم: (6535).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (83)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6] (14)

جَاءَ طَلَبُ الْهِدَايَةِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ: ﴿اهْدِنَا﴾ وَالطَّالِبُ وَاحِدٌ؛ إِيمَاءً بِأَهَمِّيَّةِ اجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُمْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا جَمِيعًا فِي كُلِّ أُمُورِهِمْ ذَوَاتِ الشَّأْنِ، وَفِيهَا مَعْنَىٰ مَحَبَّةِ عُمُومِ الْخَيْرِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ إِنَّ السَّائِلَ يُحِبُّ لِلْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ؛ فَإِذَا مَا تَكَلَّمَ؛ تَكَلَّمَ بِلِسَانِهِمْ، وَإِذَا سَأَلَ؛ سَأَلَ لَهُ وَلَهُمْ؛ فَهُوَ بِهِمْ، وَهُمْ بِهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ الإِيمَانِ وَمُؤَكِّدَاتِهِ؛ وَلَعَلَّ فِي الدَّاعِينَ فِي جَمْعِ المُسْلِمِينَ مَنْ لَهُ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَيَسْتَجِيبُ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ؛ فَتَعُمُّ الهِدَايَةُ عَلَىٰ الجَمْعِ كُلِّهِ؛ وَذَلِكَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ.

بَصِيرَةٌ قُرْآنِيَّةٌ (84)

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: 6] (15)

الاسْتِقَامَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَمَرَ بِهَا: اسْتِقَامَةُ الْقَلْبِ؛ فَلَا يَحْسِدُ، وَلَا يَحْقِدُ، وَلَا يُسِيءُ الظَّنَّ، وَلَا يُعْجَبُ وَلَا يُرَائِي، وَلَا يَتَكَبَّرُ...، وَاسْتِقَامَةُ الْعَقْلِ؛ فَلَا يَشْطُطُ، وَلَا يَسْفَهُ، وَلَا يُعَارِضُ أَوَامِرَ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ، وَاسْتِقَامَةُ الأَعْضَاءِ: اللِّسَانِ؛ فَلَا يَغْتَابُ، وَلَا يَلْمِزُ، وَلَا يَهْمِزُ، وَلَا يَنِمُّ...، وَالْعَيْنِ؛ فَلَا تَخُونُ، وَالْيَدِ؛ فَلَا تَبْطِشُ بِسُوءٍ، وَالرِّجْلِ؛ فَلَا تَمْشِي إِلَىٰ سُوءٍ، وَالْبَطْنِ؛ فَلَا يَأْكُلُ الْحَرَامَ، وَاسْتِقَامَةُ الْمَنْهَجِ؛ فَلَا يَنْحَرِفُ يَمِينًا مُفْرِطًا، وَلَا يَسَارًا مُفَرِّطًا؛ فَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَهُوَ الْمُسْتَقِيمُ حَقًّا وَصِدْقًا، وَهَذَا غَايَةُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْلُغَهُ الْعَبْدُ فِي

حَيَاتِهِ؛ فَعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»[1].

---

(1) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ: 24/ 141، رقم: (15416)، وَقَالَ شُعَيبُ الأَرنَؤوطُ: «إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ».

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (85)

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة: 6] (16)

كُلُّ الْمُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَ اللهَ تَعَالَىٰ الْهِدَايَةَ لِلاسْتِقَامَةِ فِي الْفَاتِحَةِ، وَلَكِنَّ الْمُسْتَقِيمِينَ حَقًّا مِنْهُمْ قَلِيلٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ نَوْعُ تَمَنٍ، وَلَا سَبِيلَ لِلاسْتِقَامَةِ الصَّادِقَةِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِالْمُجَاهَدَةِ عَلَىٰ الْعَمَلِ لَهَا، إِلَىٰ هَذَا أَرْشَدَتْ آيَةُ الْعَنْكَبُوتِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾؛ فَمَنْ رَامَ حَقِيقَةَ الاسْتِقَامَةِ؛ فَلْيَدْعُ بِالْفَاتِحَةِ، وَلْيَعْمَلْ بِالْعَنْكَبُوتِ؛ فَتَكُونُ الْهِدَايَةُ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُؤَكَّدَةِ بِاللَّامِ وَالنُّونِ الثَّقِيلَةِ فِي ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (86)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: 6] (17)

فِي النَّفْسِ حِيَلُ الثَّعَالِبِ وَرَوَغَانُهَا، وَبَلَادَةُ الْحَمِيرِ وَحَرُونُهَا (عِنَادُهَا وَعَدَمُ انْقِيَادِهَا)؛ وَاسْتِقَامَةُ النَّفْسِ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ يَقَظَةٍ وَتَنَبُّهٍ؛ لِتَسْلَمَ مِنْ حِيَلِهَا وَرَوَغَانِهَا، وَبِحَاجَةٍ إِلَىٰ تَرْوِيضٍ وَطُولِ مُعَالَجَةٍ؛ لِتُدَاوَىٰ بَلَادَتُهَا وَحَرُونُهَا، فَإِنَّهَا لَا تَكَادُ تَسْتَقِيمُ إِلَّا عَلَىٰ كُرْهٍ، وَشِدَّةِ مُغَالَبَةٍ، وَلَا يَتَحَقَّقُ تَمَامُ هَذَا إِلَّا بِمَدَدٍ مِنْ عَوْنِ اللهِ تَعَالَىٰ بِـ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وَهِدَايَةٍ بِـ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (87)

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6] (18)

هِدَايَاتُ الْآيَةِ: سُؤَالُ الْعَبْدِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ حَاجَاتِهِ كُلَّهَا؛ وَأَفْضَلُ مَا يَسْأَلُهُ الْهِدَايَةُ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالدِّينِ الْقَوِيمِ؛ فَإِنَّ مَنْ هُدِيَ إِلَىٰ ذَلِكَ؛ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ كُلِّ خَيْرٍ؛ وَمُجَاهَدَةُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ الاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ مَنْهَجِهِ الْقَوِيمِ فِي الدُّنْيَا؛ بِفِعْلِ الْمَأْمُورِ، وَتَرْكِ الْمَحْظُورِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِقَامَتِهِ عَلَىٰ هَذَا الصِّرَاطِ فِي الدُّنْيَا؛ تَكُونُ اسْتِقَامَتُهُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ فِي الْآخِرَةِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (88)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (1)

(أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) مَادَّةُ (نَعَمَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ تَرَفُّهٍ وَطِيبِ عَيْشٍ وَصَلَاحٍ، وَالْإِنْعَامُ مَا يُنْعِمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ مِنْ طِيبِ عَيْشٍ، مَادِّيًا كَانَ هَذَا الْإِنْعَامُ؛ كَالْمَالِ وَالْبَنِينَ، أَوْ مَعْنَوِيًا كَطِيبِ النَّفْسِ وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ؛ وَإِنَّ أَعْلَىٰ النِّعْمَتَيْنِ نِعْمَةُ طِيبِ النَّفْسِ وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ؛ وَلَا يَكُونُ كَمَالُهُمَا إِلَّا بِعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِ الْمُرَفَّهُ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِالظَّفَرِ بِطَاعَتِهِ، وَلَوْ كَانَ قَلِيلَ ذَاتِ الْيَدِ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَقَدَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ فَقَدَ النِّعْمَةَ الْحَقَّةَ، وَلَوْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (89)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (2)

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) نِعَمُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ فَوْقَ الْحَصْرِ وَالْعَدِّ وَالْإِحْصَاءِ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إِبْرَاهِيم: 34]، وَهِيَ فِي جُمْلَتِهَا: إِمَّا دِينِيَّةٌ، وإِمَّا دُنْيَوِيَّةٌ؛ وَإِنَّمَا أَطْلَقَ لَفْظَ النِّعْمَةِ، وَلَمْ يُقَيِّدْهَا؛ لِيَدْخُلَ فِيهَا كُلُّ نِعْمَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ؛ وَمَا عَلَىٰ الْعَبْدِ إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ هَمَّهُ عَلَىٰ نِعْمَةٍ هُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهَا، عِنْدَ تِلَاوَتِهَا؛ وَيُعَيِّنُهَا فِي نَفْسِهِ؛ ثُمَّ لْيُبْشِرْ بِنَوَالِهَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (90)

﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (3)

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) جَاءَ وَصْفُ صِرَاطِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ فِي الْفَاتِحَةِ مُجْمَلًا، وَجَاءَ فِي النِّسَاءِ مُفَسَّرًا: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّسَاء: 69]؛ فَمَنْ سَأَلَ سُؤَالَ الْفَاتِحَةِ؛ أُحِيلَ إِلَىٰ النِّسَاءِ؛ فَفِيهَا التَّفْصِيلُ وَالشِّفَاءُ. وَلَا يَنْفَكُّ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ أَنْ يَنْزِلَ مَنْزِلَةً مِنْ مَنَازِلِهَا؛ فَهُوَ إِمَّا صِدِّيقٌ، وَإِمَّا شَهِيدٌ، وَإِمَّا صَالِحٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ لِلْعِبَادِ مَطْمَعٌ، وَمَنْ فَقِهَ عَنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ مُرَادَهُ؛ فَلَا يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلَّا مَا اخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ لَهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (91)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (4)

أُضِيفَ الصِّرَاطُ إِلَىٰ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُضَفْ إِلَىٰ أَقْسَامِهِمْ مُبَاشَرَةً: النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالصَّالِحِينَ؛ لَتَقْتَرِنَ الْهِدَايَةُ بِالنِّعْمَةِ؛ فَيَتَقَرَّرَ فِي النُّفُوسِ قِيمَةُ هَذِهِ الْهِدَايَةِ؛ فَهِيَ نِعْمَةٌ لَيْسَ مِثْلُهَا نِعْمَةٌ، وَأَيُّ نِعْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ الْعَبْدُ فِي هَذَا الصِّرَاطِ، وَيَسِيرَ مَعَ أَهْلِهِ الْمَهْدِيِّينَ. وَأُسْنِدَتِ النِّعْمَةُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِيَتَقَرَّرَ مَعْنَىٰ عَظَمَةِ هذِهِ النِّعْمَةِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ ومَعْنَىٰ افْتِقَارِ العَبْدِ مِنْ جِهَةِ احْتِيَاجِ العَبْدِ إِلَيْهَا، وأَنَّهَا مَحْضُ فَضْلٍ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا يَدٌ وَلَا حِيلَةٌ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (92)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (5)

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) إِنْعَامُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ العِبَادِ لَا عَنْ مُقَابِلٍ يَنْتَظِرُهُ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ؛ بَيْنَمَا إِنْعَامُ العِبَادِ عَلَىٰ العِبَادِ يَسْتَدْعِي المُقَابِلَ؛ فَكُلُّ مَنْ أَعْطَاكَ مِنَ النَّاسِ؛ يَأْخُذُ مِنْكَ؛ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ، ولَا يَأْخُذُ مِنْكَ شَيْئًا؛ حَتَّىٰ شُكْرُكَ لَهُ، هُوَ لَكَ عَلَىٰ الحَقِيقَةِ؛ يُثِيبُكَ عَلَيْهِ، فَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ مِنْكَ شَيْئًا إِنَّمَا يَطْلُبُهُ لَهُ؛ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ إِذَا طَلَبَ مِنْكَ شَيْئًا؛ إِنَّمَا يَطْلُبُهُ لَكَ؛ ولَلْعَبْدُ أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَعُودَ بِالنَّفْعِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَنْفَعَ

رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ؛ فَفِي الحَدِيثِ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي؛ فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي؛ فَتَنْفَعُونِي»[1].

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: 4/ 1994، رقم: (2577).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (93)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (6)

خَلِيقٌ بِالْعَبْدِ أَنْ يُحْضِرَ قَلْبَهُ عِنْدَ تِلَاوَةِ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ مَرَاتِبَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ، وَيَرْجُو أَنْ يُدْخِلَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي جُمْلَتِهِمْ؛ فَيَذْكُرُ مَنْ سَبَقَ مِنْ إِخْوَانِهِ الصِّدِّيقِينَ، وَفِي أَوَّلِهِمْ: أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ وَمِنْهُمْ وَعَلَىٰ طَرِيقِهِمْ، كَمَا يَذْكُرُ مَنْ سَبَقَهُ مِنْ إِخْوَانِهِ الشُّهَدَاءِ، وَفِي أَوَّلِهِمْ: سَيِّدُهُمْ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَيَرْجُو أَنْ يُلْحِقَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهِمْ، كَمَا يَذْكُرُ إِخْوَانَهُ الصَّالِحِينَ: مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَيَرْجُو أَلَّا يُخَالِفَ طَرِيقَهُمْ، أَوْ يَسْلُكَ غَيْرَ مَسْلَكِهِمْ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (94)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 7] (7)

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) مَنْ كَانَتْ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قِيمَةٌ؛ لَا يَسُومُهَا إِلَّا بِأَغْلَى الْأَثْمَانِ، وَلَا يُنْزِلُهَا إِلَّا أَرْفَعَ الْمَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ؛ فَلَا أَرْفَعَ مَنْزِلَةً مِنْ مَنَازِلِ الصِدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ؛ فَيَخْتَارُهَا لِنَفْسِهِ، وَيَجْعَلُهَا غَايَتَهُ الَّتِي يُوَجِّهُ مِضْمَارَ سِبَاقِهِ نَحْوَهَا، وَيَسْتَحْضِرُهَا عِنْدَ كُلِّ تِلَاوَةٍ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؛ فَإِنَّ هِبَاتِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ بِحَسَبِ طَلَبِ الْعِبَادِ، وَحُسْنِ ظَنِّهِمْ بِهِ، وَصِدْقِ سَعْيِهِمْ لِمَقْصِدِهِمْ وَمَطْلُوبِهِمْ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (95)

﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (8)

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) مَادَّةُ (غَضِبَ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ فِي السُّخْطِ؛ وَقِيلَ الْغَضَبُ مُشْتَقٌّ مِنْ غَضْبَةِ الرَّأْسِ وَهِيَ جِلْدَتُهُ، أَيْ: صَارَ حَمْيُ قَلْبِهِ إِلَىٰ جِلْدَةِ رَأْسِهِ، وَالْغَضَبُ: نَقِيضُ الرِّضَىٰ، وَلَمَّا كَانَ وَصْفُ الْمُجَانِبِينَ لِلْحَقِّ تَرْكَهُ عَنْ عِلْمٍ وَمُعَانَدَةٍ، وَقَسْوَةِ كَبِدٍ؛ نَاسَبَهُمْ وَصْفُ الْغَضَبِ الَّذِي هُوَ قُوَّةُ السُّخْطِ وَشِدَّتُهُ، وَعَدَمُ الرِّضَىٰ عَنْهُمْ، وَهَذَا الصِّنْفُ مِنَ النَّاسِ يَقِلُّ رُجُوعُهُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَيَنْدُرُ نُدْرَةً شَدِيدَةً؛ فَهُمْ يَعْرِفُونَهُ أَصْلًا، وَيُخَالِفُونَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ مُخَالِفٌ لِهَوَاهُمْ، وَهَوَاهُمْ مُقَدَّمٌ عِنْدَهُمْ عَلَىٰ الْحَقِّ؛ لِانْحِرَافٍ حَصَلَ فِي أَصْلِ نُفُوسِهِمْ، وَتَلَوُّثٍ طَرَأَ عَلَىٰ أَصْلِ فِطْرَتِهِمْ؛ وَلَا أَنْسَبَ لَهُمْ مِنْ وَصْفِهِمْ بِوَصْفِ الْغَضَبِ الرَّعِيبِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (96)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (9)

(وَلَا الضَّالِّينَ) مَادَّةُ (ضَلَّ) الْمُعْجَمِيَّةُ تَدُلُّ عَلَىٰ ضَيَاعِ الشَّيْءِ وَذَهَابِهِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَلَمَّا كَانَ وَصْفُ الْمُجَانِبِينَ لِلْحَقِّ تَرْكَهُ عَنْ جَهَالَةٍ وَغَفْلَةٍ، وَعَدَمِ تَبَصُّرٍ وَتَعَقُّلٍ: إِمَّا لِأَنَّهُمْ لَمْ تَبْلُغْهُمُ الرِّسَالَةُ، أَوْ بَلَغَتْهُمْ عَلَىٰ وَجْهٍ لَمْ يَتَبَيَّنُوا فِيهِ وَجْهَ الْحَقِّ؛ نَاسَبَهُمْ وَصْفُ الضَّلَالِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ تَاهُوا عَنِ الطَّرِيقِ الْمَطْلُوبَةِ، وَأَتَوْا بِالْأُمُورِ عَلَىٰ غَيْرِ مَا يَنْبَغِي مِنْ غَيْرِ قَسْوَةٍ وَمُعَانَدَةٍ؛ وَهَذَا الصِّنْفُ مِنَ النَّاسِ يَكْثُرُ رُجُوعُهُمْ إِلَىٰ الْحَقِّ؛ إِذَا وَضَحَ لَهُمُ الْحَقُّ وَتَبَيَّنُوهُ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (97)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (10)

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ قَوْمٌ عَرَفُوا الْحَقَّ، وَتَنَكَّبُوهُ، وَحَادُوا عَنْهُ عَنْ عِلْمٍ؛ وَأَلْصَقُ الْأُمَمِ بِهَذَا الْوَصْفِ أُمَّةُ الْيَهُودِ، وَمَنْ شَابَهَهُمْ، أَوْ وَالَاهُمْ، أَوْ نَاصَرَهُمْ، أَوْ ظَاهَرَهُمْ؛ وَالضَّالُّونَ قَوْمٌ جَهِلُوا الْحَقَّ؛ فَضَلُّوا عَنْهُ، وَتَاهُوا عَنْ جَهَالَةٍ، وَأَلْصَقُ النَّاسِ بِهَذَا الْوَصْفِ أُمَّةُ النَّصَارَىٰ؛ وَمَنْ شَابَهَهُمْ، أَوْ وَالَاهُمْ، أَوْ نَاصَرَهُمْ، أَوْ ظَاهَرَهُمْ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (98)

﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 7] (11)

عِنْدَ ذِكْرِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ ذُكِرَ فَاعِلُ الْإِنْعَامِ، وَهُوَ الضَّمِيرُ الْعَائِدُ عَلَى اللهِ تَعَالَىٰ، وَعِنْدَ ذِكْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؛ لَمْ يُذْكَرِ الْفَاعِلُ؛ وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْأَدَبِ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ بِأَنْ يُنْسَبَ الْخَيْرُ إِلَيْهِ، وَلَا يُنْسَبُ الشَّرُّ إِلَيْهِ؛ وَإِنْ كَانَ الْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَحُلْوُهُ وَمُرُّهُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ**

كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ [1]»[2]، وَهَذَا الْأَدَبُ مُتَكَرِّرٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ مِنْهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۝ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: 78 - 80]، وَمِنْهُ قَوْلُ مُؤْمِنِي الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الْجِنّ: 10].

---

(1) وَالمَعْنَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَمْ يَخْلُقْ شَرًّا مَحْضًا، بَلْ كُلُّ مَا يَخْلُقُهُ فَفِيهِ حِكْمَةٌ، هُوَ بِاعْتِبَارِهَا خَيْرٌ، وَلَكِنْ قَدْ يَكُونُ فِيهِ شَرٌّ لِبَعْضِ النَّاسِ، فَهَذَا شَرٌّ جُزْئِيٌّ إِضَافِيٌّ، فَأَمَّا الشَّرُّ المُطْلَقُ فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ الشَّرُّ الَّذِي لَيْسَ إِلَيْهِ.

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: 1/ 534، رقم: (771).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (99)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (12)

جَاءَ اشْتِقَاقُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ اسْمِ الْمَفْعُولِ؛ فَإِنَّ عُقُوبَةَ الْغَضَبِ وَقَعَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقُ بِسَبَبِ أَفْعَالِهِمْ؛ فَاسْتَحَقُّوهَا، وَقُدِّمَ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ الضَّالِّينَ، لِأَنَّهُ جَاءَ فِي مُقَابَلَةِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ؛ وَهُوَ أَوْضَحُ وَأَجْلَىٰ فِي الْمُقَابَلَةِ وَالتَّضَادِّ؛ فَالْخَيْرُ الْكَثِيرُ يُقَابِلُهُ الشَّرُّ الْكَثِيرُ.

بَصِيرةٌ قُرآنِيَّةٌ (100)

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: 7] (13)

جَاءَ اشْتِقَاقُ الضَّالِّينَ عَلَىٰ اسْمِ الْفَاعِلِ؛ فَإِنَّهُمْ هُمْ مَنْ قَامُوا بِوَصْفِ الضَّلَالِ؛ فَضَلُّوا الطَّرِيقَ؛ وَضَلَالُهُمْ قَدْ يَكُونُ عَنْ عَمْدٍ؛ فَيَكُونُونَ مِمَّنْ يَشْمَلُهُمُ الْغَضَبُ، أَوْ عَنْ جَهْلٍ؛ فَلَا يَشْمَلُهُمُ الْغَضَبُ؛ ثُمَّ إِنَّ اسْمَ الفَاعِلِ (الضَّالِّينَ) أَتَىٰ مِنَ الثُّلاثِيِّ، وَلَوْ جَاءَ مِنَ الرُّبَاعِيِّ؛ لَكَانَ (المُضِلِّينَ)؛ والمُضِلُّ مَنْ ضَلَّ وأَضَلَّ؛ وهَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ الاسْتِعَاذَةُ حِينَئِذٍ مِنَ الإِضْلَالِ، وَلَيْسَ بالضَّرُورَةِ أَنْ تَشْمَلَ الضَّلَالَ؛ فَقَدْ يَكُونُ ضَالًّا فِي ذَاتِهِ، غَيْرَ مُضِلٍّ لِغَيْرِهِ؛ بَيْنَمَا الاسْتِعَاذَةُ مِنَ الضَّلَالِ تَشْمَلُ الاسْتِعَاذَةَ مِنَ الإِضْلَالِ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مُضِلًّا؛ إِلَّا إِذَا كَانَ ضَالًّا ابْتِدَاءً.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (101)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (14)

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) لَا يَسْتَحِقُّ الْإِنْسَانُ وَصْفَ الْحَقِّ حَتَّىٰ يُغَايِرَ وَصْفَ الْبَاطِلِ، وَالْمُغَايَرَةُ أَنْ يَأْتِيَ بِغَيْرِهِ مِمَّا يُخَالِفُهُ، وَيُضَادُّهُ، وَيُجَابِهُهُ، وَبِقَدْرِ مَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ مُغَايَرَةٍ؛ يَكُونُ تَبَاعُدُهُ عَنِ الْبَاطِلِ وَتَنَائِيهِ عَنْهُ؛ لِذَلِكَ عُبِّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَىٰ (بِغَيْرِ)، وَلَا يَسُدُّ مَسَدَّهَا غَيْرُهَا مِنْ حُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَىٰ كَثْرَتِهَا وَسَعَةِ دِلَالَتِهَا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (102)

﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 7] (15)

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) لِلاسْتِقَامَةِ عَلَى الْحَقِّ رُكْنَانِ: الْأَوَّلُ: لُزُومُ طَرِيقِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ، وَالثَّانِي: مُغَايَرَةُ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ؛ فَمَنْ لَزِمَ طَرِيقَ أَهْلِ الْحَقِّ، وَغَايَرَ طَرِيقَ أَهْلِ الْبَاطِلِ؛ فَهُوَ الْمُسْتَقِيمُ حَقًّا وَصِدْقًا، وَمَنْ لَمْ يُحَقِّقْ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ؛ إِمَّا مُنْحَرِفٌ كَالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَإِمَّا تَائِهٌ كَالضَّالِّينَ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (103)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: 7] (16)

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) مَا مِنْ صِفَةٍ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ إِلَّا وَفِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْهَا شَبَهٌ؛ فَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَكُونُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ إِلَّا كَانَ فِيكُمْ مِثْلُهُ»؛ فَأَمَّا عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ الْمُنْحَرِفُونَ عَنْ عِلْمٍ؛ فَضَرَبُوا بِشَبَهِهِمْ إِلَى الْيَهُودِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا جُهَلَاؤُهَا التَّائِهُونَ؛ فَضَرَبُوا بِشَبَهِهِمْ إِلَى النَّصَارَى الضَّالِّينَ؛ وَكَفَى بِالشَّبَهَيْنِ وَالنِّسْبَتَيْنِ شُؤْمًا.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (104)

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 7] (17)

(غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) تَرْجِعُ الْمَعَاصِي كُلُّهَا إِلَىٰ أَصْلَيْنِ اثْنَيْنِ: شُبُهَاتٍ تُصِيبُ الْعُقُولَ، وَشَهَوَاتٍ تَغْلِبُ النُّفُوسَ؛ وَقَدْ وَقَعَتْ أُمَّةُ الْيَهُودِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ فِي هَذَيْنِ الشَّرَّيْنِ؛ فَحَرَّفُوا كِتَابَ اللهِ تَعَالَىٰ عَنْ عِلْمٍ؛ لِيُشْبِعُوا بِهِ شَهَوَاتِ نُفُوسِهِمْ؛ لِذَلِكَ اسْتَحَقُّوا الْغَضَبَ وَاللَّعْنَ عَلَىٰ كُلِّ لِسَانٍ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (105)

﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: 7] (18)

هِدَايَاتُ الْآيَةِ: سُؤَالُ الْعَبْدِ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُوَفِّقَهُ لِمَعَالِي الْأُمُورِ؛ وَأَخَصُّهَا أَنْ يَكُونَ فِي جُمْلَةِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا؛ وَسُؤَالُهُ رَبَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُجَنِّبَهُ أَرَاذِلَ الْأُمُورِ، وَأَخَصُّهَا أَنْ يَكُونَ فِي جُمْلَةِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؛ بِأَنْ يَتَنَكَّبَ طَرِيقَ الْحَقِّ عَنْ عِلْمٍ، وَأَنْ يَكُونَ فِي جُمْلَةِ الضَّالِّينَ، الَّذِينَ ضَلُّوا الطَّرِيقَ عَنْ جَهْلٍ؛ وَأَنْ يُجَاهِدَ الْعَبْدُ نَفْسَهُ عَلَىٰ لُزُومِ أَوْصَافِ الْمَهْدِيِّينَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَأَحْوَالِهِمْ؛ كَمَا يُجَاهِدُهَا عَلَىٰ تَجَنُّبِ أَوْصَافِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ وَأَحْوَالِهِمْ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (106)

(آمِينَ) (1)

أَنْفَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قَارِئَ الْفَاتِحَةِ فَوْقَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ فَضَائِلِهَا نَافِلَةً بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ وَهِيَ مَغْفِرَةُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الذُّنُوبِ مَعَ كُلِّ تَأْمِينٍ يُوَافِقُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ: قَوْلًا، وَزَمَنًا، وَإِخْلَاصًا، وَخُشُوعًا؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا؛ فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(1).

---

(1) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 1/ 156، رقم: (780)، وَمُسْلِمٌ: 1/ 307، رقم: (410).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (107)

(آمِينَ) (2)

التَّأْمِينُ لَفْظٌ مُوجَزٌ؛ فِيهِ مَعْنَىٰ تَوَسُّلِ الاسْتِجَابَةِ لِمَطَالِبِ الْفَاتِحَةِ؛ وَهُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُصْطَفَاةِ؛ فَلَا تُعْلَمُ أُمَّةٌ تُؤَمِّنُ سِوَاهَا، وَجَدِيرٌ بِكَلِمَةٍ هَذَا فَضْلُهَا وَدِلَالَتُهَا أَنْ تُحْسَدَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَيْهَا؛ فَفِي الْحَدِيثِ: «مَا حَسَدَكُمُ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ مَا حَسَدُوكُمْ عَلَىٰ السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»[1].

(1) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي الأَدَبِ المُفْرَدِ: 342، رقم: (988)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (108)

(آمِينَ) (3)

هِدَايَاتُ التَّأْمِينِ: وَهِيَ أَنْ يُؤَمِّنَ الْعَبْدُ عَلَىٰ أَدْعِيَتِهِ كُلِّهَا؛ مُسْتَحْضِرًا مَعْنَىٰ طَلَبِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ الاسْتِجَابَةَ عَلَىٰ أَدْعِيَتِهِ بِالْجُمْلَةِ، بَعْدَ إِفْرَادِ كُلِّ مَسْأَلَةٍ بِالطَّلَبِ؛ كَمَا يَجْتَهِدُ فِي أَنْ يُوَافِقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ إِمَامِهِ وَتَأْمِينَ مَلَائِكَةِ رَبِّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي اللَّفْظِ وَالْوَقْتِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ؛ لِيَظْفَرَ بِمَغْفِرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (109)

(فِي تَمَامِ الفَاتِحَةِ) (1)

سُمِّيَتْ سُورَةُ الفَاتِحَةِ سُورَةَ الصَّلَاةِ؛ وذَلِكَ أَنَّ الصَّلَاةَ فِي أَصْلِ مَعْنَاهَا الدُّعَاءُ، والفَاتِحَةُ كُلُّهَا دُعاءٌ؛ كَمَا أَنَّ الفَاتِحَةَ رُكْنُ الصَّلَاةِ؛ فمَنْ أَرَادَ الخُشُوعَ، وذَوْقَ حَلَاوَةِ الصَّلاةِ وحَلَاوَةَ الْفَاتِحَةِ؛ فَلْيُحْضِرْ قَلْبَهُ فِي صَلَاتِهِ -مَعَ كُلِّ آيَةٍ- مَعْنَىٰ مُجَاوَبَةِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ لَهُ، وَثَنَائِهِ عَلَيْهِ عِنْدَ كِرَامِ مَلَائِكَتِهِ، وَتَصْدِيقِهِ إِيَّاهُ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ

الدِّينِ﴾؛ قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي -وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي-، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؛ قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[1]؛ وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ فَوْقَ هَذِهِ اللَّذَّةِ لَذَّةً.

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: 1/ 296، رقم: (395).

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (110)

(فِي تَمَامِ الفَاتِحَةِ) (2)

الطَّرِيقُ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مُؤَسَّسٌ عَلَىٰ ثَلَاثِ مَعَارِفَ: مَعْرِفَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَمَعْرِفَةِ مَا لِلْعَبْدِ عِنْدَهُ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ يَدُورُ حَوْلَ هَذِهِ الْمَعَارِفِ، وَقَدْ جَمَعَتْهَا سُورَةُ الْفَاتِحَةِ فِي أَوْجَزِ بَيَانٍ؛ فَفِي: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تَعْرِيفٌ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَفِي: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تَعْرِيفٌ بِمَا لِلْعَبْدِ عِنْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَفِي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ تَعْرِيفٌ بِطَرِيقِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

بَصِيرَةٌ قُرآنِيَّةٌ (111)

(فِي تَمَامِ الفَاتِحَةِ) (3)

لَمَّا كانَ للفاتِحَةِ كُلُّ هَذَا المَوْقِعِ، وَكُلُّ هَذَا الفَضْلِ، وتَبَيَّنَ أَنَّهُ لَا غِنَىٰ لِعَبْدٍ فِي وَقْتٍ مِنْ أوقَاتِهِ عَنْ بَرَكَاتِ الفَاتِحَةِ وهِدَايَاتِهَا؛ وَأَنَّهَا أَلْزَمُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامِهِ وشَرَابِهِ؛ أَوْجَبَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِرَحْمَتِهِ عَلَىٰ جَمِيعِ المُكَلَّفِينَ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَقْرَؤُوهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ، بَلْ أَوْجَبَ أَنْ تُثْنَىٰ، وَتُكَرَّرَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ؛ إِمْعَانًا فِي الْتِمَاسِ فَضْلِهَا وَبَرَكَتِهَا؛ فَفِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[1]، وَعَنْهُ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّىٰ صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ**

---

(1) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: 1/ 151، رقم: (756)، وَمُسْلِمٌ: 1/ 295، رقم: (394).

فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ؛ فَهِيَ خِدَاجٌ»[1]؛ أَيْ: نَاقِصَةٌ غَيْرُ تَامَّةٍ؛ وَبِذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الفَاتِحَةَ هِبَةُ رَبِّ العَالَمِينَ لِعِبَادِهِ المُسْلِمِينَ؛ فَالحَمْدُ للهِ عَلَىٰ نِعْمَةِ الفَاتِحَةِ.

---

(1) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: 1/ 296، رقم: (395).

وَإِنَّا نُؤَمِّنُ عَلَىٰ دُعَاءِ الفَاتِحَةِ؛ سَائِلِينَ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُعِينَنَا عَلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَعَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَدُنْيَانَا وَآخِرَتِنَا، وَأَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا صِرَاطَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَصِرَاطَ الضَّالِّينَ؛ اللَّهُمَّ آمِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

فُرِغَ مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ عَشِيَّةَ يَوْمِ عَرَفَةَ، الإِثْنَيْنِ، لِتِسْعِ أَيَّامٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ، لِاثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةِ عَامٍ بَعْدَ الْأَلْفِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ علَىٰ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ سَائِرِ النَّبِيِّينِ، وآلِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُ علَىٰ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

وَالحَمْدُ للهِ الذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

وَكَتَبَهُ

زكريا بن طه شحادة

مُحتَوياتُ الكِتَابِ

القَارِئُ الكَرِيمُ 3

مُقَدِّمَةٌ 5

سُدَاسِيَّةُ القُرْآنِ 18

عَقِيدَتُنَا فِي الكِتَابِ 21

فِي فَضْلِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ 24

﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ﴾ 32

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ 40

﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ 52

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ 66

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ 74

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ 85

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ 101

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ... 120

(آمِينَ).. 140

(فِي تَمَامِ الفَاتِحَةِ)...................................... 143

خَاتِمَةٌ... 148

مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ...................................... 150